جوانب من الحياة الفكرية لأهل المغرب في بلاد الشام للمدة (٥-٩هـ)

أ.م.د. فراس سليم حياوي
جامعة بابل/كلية التربية الأساسية/قسم التاريخ

المقدمة

مع منتصف القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، هاجر مجموعات من المغاربة وتوجهت إلى بلاد الشام نتيجة الظروف التي مرت بها والمتمثلة بالاضطرابات السياسية في المغرب والأندلس فضلاً عن، بينما الأمر مختلف في بلاد الشام حيث توافقت تطلعات القادمين إلى الشرق، في حين تفاعل المغاربة مع المجتمع السامي بكل فئاته وأصبح هؤلاء القادمون يعاملون على مبدأ المساواة مع إخوانهم أهل الشام.

كانت بلاد المغرب تعتمد اعتمادا كبيرا على بلدان المشرق، باعتباره الرائد للفكر والمعرفة والثقافة، منذ بداية الدولة العربية في الشام ثم العراق

تناول البحث وبالتسلسل التسمية وموقع بلاد الشام والأمور التي أدت إلى جذبة المغاربة إلى بلاد الشام، وبعدها دور الجالية المغربية في العلوم الشرعية واللغة العربية والعلوم الاجتماعية وأخيرا تناولنا العلوم العقلية.

اعتمدت الدراسة على جملة من المصادر بعضها ذا فائدة كبيرة لا يمكن الاستغناء عنها وبعضها ذا فائدة ثانوية، وتتقدم تلك المصادر كتب التراجم التي ذكرت علماء العراق في مجال علوم الدين والتي زودتنا بمعلومات وافية عن الشخصيات المترجم لها فضلا عن المادة التاريخية التي رافقت التراجم وابرز كتاب (وفيات الأعيان) لابن خلكان (ت٦٨١هـ)، والذي زودنا بمعلومات كثيرة عن الشخصيات التي تناولها البحث، إلى جانب كتاب (عيون الأنباء) لابن أبي اصيبعة (ت ٦٦٨هـ) الذي كان له دور في أعطاء صورة جميلة عن الشخصيات التي تناولها البحث ولا سيما الأطباء والصيادلة، كما قدم اليونيني(ت٧٢٦هـ) في كتابه (ذيل مرآة الزمان) مادة مفصلة عن علماء أهل العراق فضلا عن ما قدمه من مادة تاريخية متعلقة بموضوع البحث المصادر التي تم الاعتماد عليها كتاب (الكامل في التاريخ) لابن الأثير(ت٦٣٠هـ) وهو كتاب حافل بمعلومات كثيرة عن أحداث المغرب، وحروب العرب، وأشار إلى الأحداث السياسية الأخرى الخاصة بأمراء، ، فضلاً عن مصادر كثيرة لا يسمح المجال لذكرها، إما بالنسبة إلى المراجع الحديثة فقد اعتمد الدراسة على مجموعة من تلك المراجع لدعم البحث.

لا تخلوا الدراسة من صعوبات بسبب تناثر المعلومات في بطون الكتب، لاسيما وان الدراسة أخذت جانب المغاربة ودورهم في بلاد الشام، أي أنها اقتضت البحث في الكتب الخاصة بالمشرق والكتب الخاصة بالمغرب على حد سواء، ولا بد من التنويه بان المغاربة التي تناوله البحث هم أهل المغرب والأندلس، وأخيرا اعتماد البحث على أسلوب الاستنتاج واستقراء النصوص التاريخية ذلل الكثير منها.

التسمية والموقع لبلاد الشام:

بلاد الشام[١] مصطلح قديم ورد في كثير من المصادر التاريخية والبلدانية، وهو يطلق على المنطقة الجغرافية المتمثلة بـ(سوريا والأردن وفلسطين ولبنان)، وقد تباين البلدانيون والمؤرخون حول إطلاقهم تسمية محددة وثابتة عن الرقعة الجغرافية، فمنهم من أطلق لفظة (الشام)[٢] مجردة من أية إضافة[٣]، ومنهم من أطلق لفظة (أرض الشام) للدلالة على الأرض[٤]، في حين أطلق آخر عليها (إقليم الشام)[٥].

أما حدودها فهي محاطة من جهة الغرب ببحر الغرب (البحر المتوسط) من طرسوس[٦] إلى رفح[٧] التي في الجفار[٨] بين مصر والشام، ويحيط بها من جهة الشرق حد يمتد من البلقاء[٩] إلى مشاريق صرخد[١٠] إلى سلمية[١١] إلى مشاريق حلب إلى بالس[١٢]، إما من جهة الشمال فتحيط بها من بالس مع الفرات إلى قلعة نجم[١٣] إلى البيرة[١٤] فقلعة الروم[١٥]

إلى سميساط[١٦] إلى حصن منصور[١٧] إلى بهسنا[١٨] إلى مرعش[١٩] إلى بلاد سيس[٢٠] إلى طرسوس إلى بحر الروم، ومن الجنوب حد يمتد من رفع إلى ما بين الشويك[٢١] وآيلة[٢٢] إلى البلقاء.

قسم المؤرخون والبلدانيون بلاد الشام إلى عدة مناطق عرفت باسم (الأجناد)[٢٣] وهي (جند فنسرين وجند دمشق وجند الأردن وجند فلسطين وجند حمص)[٢٤] في حين أضاف المقدسي إقليم الشراة إلى الأجناد الخمسة فيصح عددها ستة[٢٥] وأحيانا تضاف فنسرين إلى جند حمص فتشكل جنداً واحداً[٢٦] .

كما ضمت بلاد الشام الكثير من الثغور[٢٧] التي مثلت حزاماً لمنطقة شاسعة ممتدة من شمال إنطاكية وحلب إلى طرسوس وطوروس، وهي مدن محصنة على التخوم العربية الرومية[٢٨] وهي على قسمين:-

١. الثغور الجزرية: وهي من الشام، وإنما عرفت بالجزرية، لان أهل الجزيرة كانوا يربطون ويغزون[٢٩] ومن الأمثلة على هذه الثغور، مليطية[٣٠] وكيسوم[٣١] وشمشاط[٣٢] .

١- الثغور الشامية: مثل مرعش والحدث[٣٣] كما تشكلت في بلاد الشام ست نيابات على أنقاض الممالك والإمارات الأيوبية التي كانت قائمة فيها، ولم تتكون هذه النيابات دفعة واحدة بل جاءت على فترات تبعا للظروف التي كانت توجب إقامتها، وهذه النيابات هي نيابة دمشق، بناية حلب، نيابة طرابلس، نيابة حماه، نيابة الكرك نيابة صفد[٣٤] وبعد تولي الجراكسه حكم بلاد الشام زادت النيابات فيها حيث أضيفت نيابة القدس وعزة[٣٥] ونيابة ملطية[٣٦].

المكانة العلمية لبلاد الشام:

وصف لنا ابن جبير صورة جميلة لواقع الحركة العلمية الفعالة والنشطة في المدن الشامية المختلفة، فقد ذكر وجوده في مدينة حلب وتكلم عن جامعها ومدارسها قائلاً(ويتصل به من الجانب الغربي مدرسة للحنفية تناسب الجامع حسناً وإتقان صنعته، ... وهذه المدرسة من احفل ما شاهدناه من المدارس بناء وغرابة وصنعة ... وللبلدة سوى هذه المدرسة نحو أربع مدارس أو خمس)[٣٧].

أما مدينة دمشق فقد أكثر من الحديث عن جامعها وحلقات الدرس فضلاً عن الزوايا إذ يقول (وفيه حلقات لتدريس الطلبة والمدرسين فيها أجزاء واسع، وللمالكية زاوية للتدريس في الجانب الغربي يجتمع فيها طلبة المغاربة ولهم اجر معلوم، ومرافق هذا الجامع المكرم وأهل الطلب كثيرة واسعة...) [٣٨]، كما يذكر إن فيها نحو عشرين[٣٩] مدرس، في حين كانت في حماة ثلاث مدارس ومدرسة واحدة في كل من حمص[٤٠] وحران[٤١] .

كانت النهضة العلمية في أي مدينة توصف بكثرة ما ينشأ فيها من المدارس ودور العلم في عهد نهضتها، وما يميز القرن الرابع الهجري/ التاسع الميلادي هو إنشاء المدارس[٤٢] .

أصبحت بلاد الشام في عصر الزنكيين والأيوبيين والمماليك من مراكز النشاط الفكري، اشترك فيه الكثير من العلماء والأدباء، ليس من الشاميين وحدهم، وإنما أسهم معهم في ذلك عدد من العلماء والأدباء من إرجاء مختلفة من العالم الإسلامي ومنهم المغاربة .

لا بد إن يكون للنشاط العلمي عوامل قد تضافرت لازدهاره وتوسعه منها ما هو خارجي وآخر داخلي، فبالنسبة للعوامل الخارجية فقد تمثلت بقيام الحروب الصليبية وغزو المغول للعالم الإسلامي، وما رافقهما من استيلاء على القدس وتدمير بغداد وقتل العديد من العلماء وإحراق الكتب، وهذه الحالة ولّدت الرغبة في التعويض عما خسرته النهضة العلمية العربية، أما العوامل الداخلية فهي كثيرة من أبرزها انتشار العلم[٤٣] ، فضلاً عن دور السلاطين والأمراء ورجال الدولة، فقد شهدت المدن الشامية تشجيعاً من قبلهم للعلم والعلماء بل إن عدد منهم كان عالماً[٤٤] أو أديبا[٤٥] أو شاعراً[٤٦]، وهذا الإسهام من قبل رجال الدولة في حركة النشاط العلمي بصورة مباشرة عن طريق الدراسة والتأليف، وعن طريق اهتمامهم بالجوانب

العلمية، يقف إلى جانب ذلك ما قام به علماء الشام وغيرهم ممن ببلاد الشام من جهد علمي واضح كان له الفضل الكبير في ازدهار الحركة الفكرية في عموم الشام .

ولم يكن إنشاء المدارس ودور العلم المختلفة مقصوراً على رجال الدولة فحسب بل شمل فئات المجتمع المختلفة حين تكاتف الجميع لصنع وحدة ثقافية مميزة وبارزة شجعت الكثير من العلماء وطلبة العلم للتوجه بأنظارهم صوب المدن الشامية والإسهام مع أهلها في رفد الحضارة الإسلامية بما يحملونه من علوم ومعارف، أو مايقومون بإبداعه من تأليف، كل ذلك من خلال عملية الأخذ والعطاء بين الشامين من جهة وبين ما ورد إليهم من جهة أخرى ومنهم المغاربة على وجه التحديد.

جذب بلاد الشام للمغاربة:

هاجرت مجموعات مغربية وأندلسية بلاد المغرب والأندلس، وتوجهت إلى بلاد الشام، نتيجة عوامل شجعتهم على التحرك الذي تطور من عملية نزوح انفرادية في البداية إلى عملية تروح جماعية اتسمت بالغزارة والنشاط .

اتسمت الساحة المغربية والأندلسية بالسلبية، الأمر الذي جعلها تكون عامل طرد للكثير من السكان الذين فضلوا النزوح عن وطنهم نهائياً بعد إن أصبح أمر بقائهم مستحيلاً لعدة عوامل منها الاضطرابات والتبدلات السياسية في المغرب والأندلس فضلاً عن الإخطار التي حدثت بالأندلس وسكانها بفعل الهجمات النصرانية الفاعلة، وقد وجد هؤلاء المهاجرين ضالتهم في بلاد الشام المتميزة بمكانتها العلمية و الاقتصادية، والتي توافقت مع تطلعاتهم، بحيث أصبح هؤلاء القادمون من المغرب والأندلس يستقبلون ويعاملون علي قدم المساواة مع إخوانهم في بلاد الشام.

ونتيجة لهذه الأمور، شّكل المغاربة والأندلسيون جالية كبيرة العدد متنوعة الاختصاصات، شاركوا من خلالها في جميع مفاصل الحياة العامة ووجوهها، وعبروا في كثير من الأحيان عمق صدقهم وتفانيهم في الإعمال التي أوكلت إليهم، وصاروا في أحيان كثيرة رواداً ومعلمين في ميادين اختصاصاتهم وترك بعضهم أثارا علمية خالدة في عدد من العلوم، كما عبرت مجموعة منهم عن حس عربي إسلامي ترجموه إلى حقيقة وفعل، حينما وقفوا مدافعين عن مصالح بلاد الشام مضحين بانفسم وحياتهم أحيانا وبأموالهم وثروتهم أحيانا أخرى.

شملت الرحلات المغربية والأندلسية إلى بلاد الشام منها ما كان لإغراض علمية للدرس أو التدريس ورحلة الأدباء والشعراء، ومنها من كان لإغراض إدارية وسياسية أو تجارية فضلاً عن الرحلة بقصد الاستقرار، وضمت تلك الرحلات شرائح مختلفة من تجار وإداريين وعلماء وطلاب علم وغيرهم، وقد تباينت المصادر في نقل أخبار رحلتهم حيث نلاحظ معلومات وافية عن بعضهم في حين نجدها شحيحة عن بعضهم الآخر(٤٧) .

عموما فان بلاد المغرب جزء من العالم الإسلامي ولهذا لابد إن تكون هذه الرحلات إلى بلاد الشام أو أي جزء من العالم الإسلامي امراً طبيعياً ومهما، لاسيما وان الرحلة لطلب العلم كانت من الإغراض السامية التي حث عليها الإسلام، نحو قوله عز وجل (فلو لا نفر من كل فرقة طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم أذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون)(٤٨) كما وردت أحاديث كثيرة عن الرسول(ص) تدعو إلى طلب العلم والاستزادة منه حتى عَد فريضة (طلب العلم فريضة على كل مسلم) وقوله(ص):(... ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً، سهل الله له به طريقاً إلى الجنة)(٤٩) . ولاسيما وان سهولة التنقل والترحال بين بلد وآخر ساعد على زيادة الرحلة، فالمسلم ينتقل من بلد إلى آخر دون الحاجة إلى إذن احد، وحيثما حل فهو في داره وبين أهله(٥٠) .

دور أهل المغرب في الحياة الفكرية:

شكل أهل المغرب فئة كبيرة في بلاد الشام، وكانت هذه متنوعة الاختصاصات، ساهمت في جميع مفاصل الحياة العامة، وابدوا نجاحاً كبيراً في الإعمال التي أوكلت إليهم، فضلاً عن أنهم كانوا رواداً ومعلمين في ميادين اختصاصاتهم، وترك بعضهم أثارا علمية طيبة في العلوم التي أبدعوا فيها. فقد حملوا لواء المشاركة في كل فروع العلوم العقلية والنقلية وغيرها. لذلك سنستعرض دور المغاربة من خلال العلوم التي أبدعوا فيها :-

أولا: العلوم الشرعية :

وهي العلوم المدونة التي تذكر فيها الإحكام الشرعية أو الاعتيادية، والتي تشمل بالدرجة الأولى القرآن والسّنة النبوية وما يتعلق بهما من علوم وهي مشروعة من الله تعالى والرسول الكريم(ص) [٥١] والعلوم الدينية أصناف منها الأصول وهي القران والحديث والفروع وهي الفقه[٥٢] .

لقد ازدهرت العلوم عبر العصور الإسلامية لارتباطها المباشر بالحياة الدينية والدنيوية، كما نال علماؤها الرعاية والاحترام من العامة والخاصة وشيدت من اجلها دور القرآن والحديث والمدارس وغيرها من أماكن التعليم، ويبدوا إن إحساس المسلمين بالخطر الصليبي جعلهم يهتمون بهذه العلوم ويضعونها بالمقام الأول لأنها تدفعهم باتجاه الجهاد فضلاً عما تثيره في النفوس من تمسك بتعاليم الدين[٥٣]،وضمت هذه العلوم إضافات عدة في:

أ – علم القراءات[٥٤] :

أول علوم القران التي اهتم بها المسلمون وهو علم يعنى بمذاهب الأئمة في قراءة القرآن[٥٥] ، إما اصطلاحا فهي (اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتبه الحروف أو كيفيتها من تحقيق أو تثقيل وغيرهما) [٥٦] وهو أيضا(علم يبحث في صور نظم كلام الله تعالى، من حيث وجود اختلافات المتواترة) [٥٧]، وعرفه الدمياطي بأنه(علم يعّلم منه إتقان الناطقين لكتاب الله واختلافهم في الحذف والإثبات والتحريك والتسكين والفصل والوصل وغير ذلك من هيئة النطق والإبدال وغيره من حيث السماع) [٥٨]، في حين عرفة التهانوي بأنه :(علم يبحث به عن كيفية النطق بألفاظ القرآن وموضوعه القران من حيث انه بقراء)[٥٩] .

وكان المغاربة مجددين على صعيد علم القراءات، وتجلى التجديد عندهم في أنهم نقلوا إلى بلاد الشام عدداً من الطرق في القراءات، لم تكن معروفة قبل هذه المدة، كطريقة المقرئ الأندلسي أبي عمرو بن العلاء الداني[٦٠]، الذي نقلها إلى الشام ونشرها عن طريق التعليم المقرئ الأندلسي احمد بن محمد الأنصاري الشاطبي، الذي حَل بمدينة دمشق سنة ٥٠٤هـ/ ١١١١م، وكان قد جسد هذه الطريقة في كتاب سماه(قراءة أبي عمرو الدايني) ، فضلا عن بعض المؤلفات الأخرى التي وضعها ككتاب (المقنّع في القراءات السبع) و(التنبيه على قراءة نافع) [٦١] .

كما حمل لواء التحديث في القراءات أندلسي آخر هو ابن الطحان، الذي قيل فيه انه لا يوجد بالمغرب اعلم منه، وقد تجلى التجديد في عدد من الكتب التي ألفها مثل كتاب (نظام الأداء في الوقف والابتداء) وكتاب (مخارج الحروف) الذي هو عبارة عن مقدمة في علم القراءات[٦٢].

وبلغ الابتكار أوجه عند بعض المغاربة والأندلسيين في هذا العلم، إذا قدم المقرئ أبو القاسم ال بقالب شعري جميل، حتى يسهل على المهتمين حفظ القراءات وإتقانها بطرقها المختلفة، ولم يسبقه احد في أسلوبه، وهو اختصار لكتاب(التسبير) لأبي عمرو الداني ويسمى أيضا (الشاطبية)، وبذلك سّهل على الناس استذكار قواعد القراءات وحفظها، وعدد أبيات هذا الكتاب ثلاث وسبعون ومائة وألف بيت شعري، أبدع فيها كل الإبداع، ونظم قصيدة دالية أخرى من خمسمائة بيت لحض فيها مضمون كتاب (التمهيد) لأبي عبد البرقي القراءات[٦٣].

ويعّد عبد الله البسكري(ت ٨٢٩هـ/١٤٢٥م)، من فضلاء الفقهاء فضلا عن كونه من كبارالمقرئيين في وقته، ولد بسكره[٦٤] وفيها نشأ وتعلم، ثم رحل إلى المشرق ونزل بيت المقدس في فلسطين، وقال عنه السخاوي (كان شيخ دار القران في المدرسة السلامية كان يقراء القران فيها على قاعدة إبراهيم الأموي الصوفي فانتفع به خلق كثيرة كان يعرف القراءات[٦٥]، توفي سنة٨٢٩هـ/١٤٢٥م وكان قد جاوز التسعين من عمره، وفي المنحى نفسه كان محمد بدر الدين أبو حامد المعروف بالمقرئ[٦٦] (ت ٨٧٨هـ/ ١٤٧٣م) من حفاظ القران وتولى عدد من المناصب الشرعية في بلاد الشام.

ب: علم الحديث

الحديث لغة (تقيض القديم ... وحدث الشيء يحدث حدوثا وحداثه .. والحديث كونه الشئ لم يكن، وأحدثه الله فحدث الأمر أي وقع) [٦٧] وقيل هو الحديث أو هو ضد الحديث ويطلق على قليلة وكثيرة[٦٨] . أما اصطلاحاً فهو ما ورد عن النبي (ص) من قول أو فعل أو تقرير أو صفة[٦٩]، وقيل ما أضيف إلى النبي(ص) من قول أو فعل أو تقرير بعد البعثة، وعلى ذلك يكون الحديث أخص من السنة، إذ تشمل السنة الحديث والإقرار والصفة الخليفية واللاخلاقية والسيرة فهي اعم من الحديث[٧٠].

يعد الحديث النبوي الشريف المصدر الثاني للشريعة بعد القران الكريم، نحو قوله عز وجل (وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنة فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب)[٧١]، وحديث رسول الله ﷺ وحي من الله سبحانه وتعالى (وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى)[٧٢]، لذا فقد أولى الحديث النبوي الشريف عناية خاصة فهو (من اشرف العلوم وأحلها لدى الصحابة والتابعين وتابعين خلفاً عن سلف لأي شرف بينهم احد بعد حفظ كتاب الله سبحانه وتعالى إلا يقدر ما يحفظ منه)[٧٣].

واشتهر المغاربة بهذا العلم، رغم إن هذا العلم لم يكن جديداً في بلاد الشام، ولكن الجديد على بلاد الشام هو أنهم لم يعرفوا قبل القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي حفاظاً مؤهلين من أصل مغربي عملوا في هذا العلم، حيث اتجهوا إلى بلاد الشام بقصد العمل ، بعد إن كانوا يأتون إلى بلاد الشام للدراسة والبحث ليعودون إلى بلادهم وهم يحملون علمهم لتعليمه إلى أهل المغرب. ولكن في المدة التي نحن بصدرها وصل المغاربة إلى أعلى مستويات العلم، وأصبحوا معلمين وأساتذة كبار، وظهرت مكانتهم العلمية بوضوح في المدارس الشامية التي ترأسوها أو درسّوا بها، حتى أصبحوا مقصداً للمهتمين والطلبة من شتى الأقاليم العربية الإسلامية، فتخرج على أيديهم طلبة كثيرين، فعلى الرغم من إن عدد هؤلاء المحدثين قليلي العدد، إلا أن أثنين منهم حازوا على لقب (الحافظ) وهما:.

أ – الحافظ زكي الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد البرزاني[٧٤]، احد من اعتنى بالحديث وبرز فيه، وكان شيخ الحديث بمشهد ابن عروة بالمسجد الأموي بدمشق، ثم سافر إلى حلب، ومارس عمله في التدريس إلى وفاته سنة ٦٣٦هـ/ ١٢٤٩ م بمدينة حماه[٧٥] .

ب– الحافظ علم الدين أبو محمد القاسم بن محمد البرزالي[٧٦] : (شيخ الحديث بالنورية بدمشق، وفيها وقف كتب بدار الحديث السنية وبدار الحديث القوضية وفي الجامع وغيرة وعلى كراسي الحديث وكان متواضعاً، محباً إلى الناس متوددا إليهم توفي عن أربع وسبعين سنة رحمة الله) [٧٧]، وذلك سنة ٧٣٩هـ/ ١٣٣٩ م.

وعلى الرغم من قلة هؤلاء المحدثين، فان معظمهم تسلم مناصب تدريسية عالية منهم محمد بن علي الجباني الذين شغل منصب أمين خزانة الكتب بالمدرسة النورية بحلب سنة ٥٦٣هـ/ ١١٦٨م . وكذلك محمد بن سرافة الشاطبي الذي شغل مشيخة الحديث بالمدرسة البهانية بمدينة حلب سنة ٦٤٢هـ/ ١٢٤٥م [٧٨]، وانتفع علماًء الشام من محمد بن محمد المكنى بابي الفضل البجاني[٧٩] (ت ٨٦٥هـ/ ١٤٦٠م) الذي كان عالماً بالحديث ورجاله واخذ عنه الكثير[٨٠] وجال بلاد الشام ومناطق أخرى[٨١] واستقربه المقام في بلاد الشام ومات في إحدى مدنها[٨٢] وغيرهم[٨٣].

وخلاصة القول إن الذين اشتغلوا بعلم الحديث والقراءات من المغاربة في بلاد الشام استطاعوا إن يتركوا ذكراً طيباً وخالداً، وذلك لأنهم برعوا في هذه الميدان وأجادوا حفظاً وتدريسا وإنتاجا، وأضافوا على موسساته هالة رائعة من النشاط والحيوية.

ج: القضاء :

كان تنفيذ إحكام الشرع من عمل القضاة الذين يقومون بذلك تحت إشراف قاضي القضاة ، كما كان يحكم بالشريعة في جميع القضايا التي غلبت عليها الأمور الشخصية، وقد اقتصرت المدة السابقة لسنة ٦٦٤هـ/١٢٦٦م على تعين قاضي شافعي(٨٤).

وكان للجالية المغربية دور مميز في بلاد الشام، وقد ظهر هذا الدور بشكل كبير وواضح بعد استحداث منصب قاضي المالكية بمدينة دمشق سنة ٦٦٤هـ/١٢٦٦م حين أمر السلطان بيبرس (٨٥)بوجوب تعين أربعة قضاة ليس بالقاهرة فحسب بل في دمشق أيضا، وفي هذا يقول احدهم:

أهل دمشق استرابوا من كثرة الحكام

إذ هم جميعا شموس(٨٦) وحالهم في ظلام(٨٧)

وقد شكل القضاة المغاربة مجموعة هامة في التشكيلة الإدارية الشامية، وذلك لأنهم شغلوا منصب القضاء المالكي طول فترة حكم المماليك،وكانت معظم الجرائم الكبرى الخطيرة تحال إليهم كجريمة شتم الدين الإسلامي أو الارتداد عن الإسلام ،والتقليل من شان الرسول الكريم(ص) وبقية الأنبياء وغيرها من ألامور ، كما أنهم تأثروا بالجو الذي كان سائدا في عصر المماليك ولا سيما في ميدان القضاء، الذي لم يكن قضاءا عادلا ولا تقيا، ذلك لان الكثير من القضاة على جميع المذاهب شغلوا منصب القضاء من خلال شرائه(٨٨)من الشخصيات المملوكية الكبيرة، وكان العديد من المغاربة قد جاء إلى القضاء من خلال هذا الأسلوب غير السوي على اعتبار ان المغاربة جزء لا يتجزء من المجتمع الشامي الذي عانى من هذه المسالة كثيرا.

ويبدو إن للجالية المغربية حضور كبير في بلاد الشام بدليل وجود منصب القضاء وهو منصب إداري كبير خاص بالمالكية، وهو مؤشر واضح يدل على وجود عدد كبير من المغاربة في دمشق أوغيرها من مدن الشام مّمن يتبعون المذهب المالكي، ولهذا استحدث فيها مثل هذا المنصب، ولا سيما وان فترة حكم المماليك، شهدت هجرة مغربية(٨٩) كبيرة ، ومع ذلك لا يعني ان كل مدن بلاد الشام فيها هذا المنصب ، بل المدن التي يكثر فيها عدد المغاربة، والدليل على ذلك ان مدينة حمص رغم ما يذكر عنها من كثرة خيرات، ولكن لم تحدثنا المصادر، بأن مغربيا سكنها بشكل دائم، وإنما سكنوها بإعداد قليلة لا تستحق إن يعين لها قاضيا خاص بالمالكية(٩٠).

ثانيا: اللغة العربية وآدابها:

لقد حظيت اللغة العربية وعلومها المختلفة بعناية كبيرة جدا منذ إن شرفها الله بان انزل القران بها، فأصبحت لغة الأمة الإسلامية ذات الجذور العريقة الممتدة في أعماق التاريخ، لذلك نرى أهل هذه اللغة قد اهتموا بها كثيرا، فأرخوا لها وجمعوا واستنبطوا منها الأصول ووضعوا القواعد، كل ذلك بغية المحافظة عليها من الدخيل أو التأثير بلغات الأقوام الأخرى وحمايتها خاصة بعد الفتوحات الإسلامية الكبرى والتي نجم عنها اختلاط واسع بين العرب وشعوب البلدان المفتوحة من غير العرب، ولهذا عرفها حاجي خليفة بأنها (العلوم التي يحترز العرب من الخطأ في كلامهم لفظا وكتابة)(٩١).

وتسمى بعلوم اللسان العربي وتتكون من أربعة أقسام هي اللغة والنحو والبيان(٩٢) والأدب، أما اللغة فهي (عبارة المتكلم عن مقصوده وهي فعل لساني)(٩٣)، إما النحو فهو(علم بقوانين يعرف بها أحوال التراكيب العربية من الإعراب والبناء وغيرها، وقيل النحو يعرف به أحوال الكلم من حيث الإعلال وقيل علم بأصول يعرف بها صحة الكلام وفساده)(٩٤) إذ به (يتبين أصول المقاصد بالأدلة فيعرف الفاعل من المفعول والمبتدأ من الخبر ولولاه لجهل أصول الإفادة)(٩٥)، إما البيان فهو(عبارة عن إظهار المتكلم المراد للسامع من كلامه)(٩٦).

شارك المغاربة إخوانهم في بلاد الشام في خدمة علم النحو، واستطاع كثير منهم إن يتصدوا بجدارة لمهمة تدريس هذا العلم في العديد من مدارس بلاد الشام ومساجدها وزواياها، وعبروا في الكثير من الأوقات عن براعتهم وأهليتهم الكاملة في التصدي لهذه المهمة، مما أضفى على بعضهم سمة الخلود والبناء، وذلك من خلال المؤلفات التي خلفوها، ولعل أروع الأمثلة على ذلك:

١ـ ابن مالك النحوي جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني[٩٧] (ت٦٧٢هـ/١٢٧٤م) لقب بشيخ النحاة انطلاقا من سعة علمه واطلاعه وخبرته الواسعة في هذا العلم، الأمر الذي أهلّه لان يتسلم رئاسة المدرسة العادية الكبرى، (وإما اللغة فكان إليه المنتهى في الاكثارمن تقبل غريبها والاطلاع على وحشيها، وإما النحو والتصريف فكان بحرا لا يجارى وحبرا لا يبارى، وإما إشعار العرب التي يستشهد بها على اللغة والنحو فكانت الأئمة الإعلام يتحيرون منه ويعجبون من أين يأتي بها وكان ينظم الشعر سهلا عليه..) [٩٨] توفي في دمشق في شهر رمضان[٩٩] ودفن بتربة القاضي عزت الدين بن الصائغ بجبل قاسيون[١٠٠].

ويبرز أهميته بأنه كان صاحب مدرسة كتب خالدة لفترة طويلة من الزمن إلى درجة إن اغلب النحويين الذين خلفوه من المغاربة والشاميين لم يتمكنوا من التأليف والإنتاج بالشكل الذي يجاريه، وتوقف الأمر بان أقدم كثير من مشاهير النحويين على شرح مؤلفاته وهذا إن دل على شي فإنما يدل حقا على المستوى الرفيع والمتقدم الذي بلغه ابن مالك في حقل النحو، لدرجة إن مؤلفاته بلغت أكثر من عشرين مؤلفا[١٠١] بحثت في مجاهيل علم النحو وقواعده، ومن تلك المصنفات تسهيل الفوائد في النحو وكتاب الضرب في معرفة لسان العرب وكتاب الكافية الشافية وكتاب الخلاصة وكتاب العمدة وشرحها وكتاب سبك المنظوم وفك المختوم وكتاب إكمال الإعلام الكلام وغيرها[١٠٢].

وقد تخرج على يد ابن مالك النحوي عدد كبير من طلبة العلم[١٠٣]، كان لهم شان كبير فيما بعد على صعيد العلم وعلى صعيد الإدارة نذكر منهم: المدرس محمد بن عبد الرحمن السلمي المعروف بابن النويره (ت ٦٧٥هـ/١٢٧٧م) [١٠٤]، وزين الدين أبو البركات المنجا بن عثمان بن اسعد (ت٦٩٥هـ/١٢٩٦م) [١٠٥] وكذلك محمد بن إبراهيم الاوزاعي(ت٧١٥هـ/١٣٠٦م) [١٠٦] ومحمد بن محمد شمس الدين الأنصاري الشافعي الذي توفي بعد أستاذه بسنوات (ت٦٨٢هـ/١٢٨٤م)[١٠٧] ومحمود بن سليمان بن فهد الحلبي (ت٧٧٥هـ/١٣٢٥م) [١٠٨]وغيرهم.

٢ـ جمال الدين أبو بكر محمد بن أحمد بن عبد الله البكري الشريشي (ت٦٨٥هـ/ ١٣٢٣م) ،الذي رحل من المغرب إلى المشرق وتولى مشيخة الصخرة في الحرم القدس الشريف ، ومشيخة الحرم ، ومن مؤلفاته : كتاب الاشتقاق، وشرح جليل لألفية ابن معط ، مارس التدريس في مدرسة الفاضلية في القاهرة مدة، ثم انتقل للتدريس في مدارس القدس ، بعدها انتقل إلى دمشق حيث تولى مشيخة الرباط الناصري حتى وفاته سنة ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م[١٠٩] .

٢. نصر الزواوي[١١٠](ت٨٢٦هـ/١٤٢٢م) من علماء المغرب، رحل إلى المشرق وأقام في القدس قرابة عشرين سنة اخذ عنه الكثير وقال عنه السخاوي (ذكره العيني ووصفه بالعلم والفضل والزهد) توفي في القدس.

٣ـ محمد بن عيسى المكنى بابي عبد الله التبسي[١١١](ت٨٤٠هـ/١٤٣٦م) من علماء العربية رحل إلى المشرق وتولى القضاء في حماة وأقام بها مدة طويلة واخذ عنه الكثير ثم سافر إلى الروم.

٤ـ احمد بن سعيد بن محمد الشهابي المكنى بابي العباس التلمساني[١١٢](ت٨٧٤هـ١٤٥٠م) فقيه مالكي كان فاضلا في الفقه والعربية رحل إلى المشرق وولى القضاء في دمشق ثم جاب الإسكندرية والعراق ولكنه عاد إلى دمشق وتوفي فيها.

ومهما يكن من أمر، فانه بالرغم من تفاوت النحويين المغاربة في المستوى والأهلية فأنهم أسهموا من خلال التدريس في مدارس الشام أو من خلال المؤلفات التي تركوها، في إحياء علم النحو والصرف في كثير من الأحيان، ساعدهم على ذلك تمكنهم في علم النحو، الذي اظهر من خلال المناصب التدريسية العليا التي شغلوها في المدارس الشامية فقد تسلم ثلاثة أو أربعة مشيخة علم النحو في عدد من مدارس الشام من أصل اثني عشر نحويا مغربيا، وتسلم أربعة منهم رؤساء مدارس

ودور علم شهيرة في بلاد الشام[١١٣]. وتاتي قيمة وعظمة الدور الذي شغله هؤلاء المغاربة، فضلا عما تقدم من الكتب المختصة التي ألفوها، والتي كانت بعضها غير معروف على صعيد بلاد الشام، وبخاصة من ناحية الأسلوب والمنهج الذي جاء جديدا ومبتكرا مثال ذلك (ألفية) ابن المعطي المغربي التي يعد أول مؤلف في النحو صيغ بقالب شعري وكان التجديد اقل من ذلك عند بعضهم كما هو حال القاسم بن احمد اللورقي، الذي إلف عددا من الكتب شرح فيها مؤلفات غيره ككتاب (شرح الجزولية) الذي يعد من أمهات الكتب النحوية المغربية الذي لا يستبعد إن يكون نزلاء الشام من المغاربة هم الذين نقلوه معهم إلى هذه البلاد[١١٤].

ثالثا: العلوم الاجتماعية:

أ: علم الجغرافية:

عرفه حاجي خليفة بأنه علم يبحث بأحوال الأرض من حيث تقسيمها إلى أقاليم وجبال وانهار وما يختلف به من حال السكان باختلافه[١١٥]، في حين عرفه طاش كبرى زادة بأنه(علم يتعرف منه أحوال الأقاليم السبعة الواقعة في الربع المسكون من كرة الأرض وعروض البلدان الواقعة فيها وأطوالها وكذا عدد شاطبي[١١٦] على وضع مؤلف في القراءات يدعى(حوز الأماني) مدنها وجبالها وبراريها وبحارها وأنهارها إلى غير ذلك من أحوال الربع المعمورة) [١١٧].

ويبدو أن أهل المشرق كان أكثر تعمقا بهذا العلم، فقد جالوا البلدان ومنها مدن المغرب العربي وكتبوا ملاحظتهم عن سهوله وصحاريه ومنهم اليعقوبي[١١٨] احمد بن يعقوب بن واضح(ت ٢٨٤هـ/٨٩٧م) وكذلك ابن حوقل[١١٩] محمد بن حوقل البغدادي (ت ٣٨٠هـ/٩٩٠م) .

ورغم ذلك فقد برز مغاربة تركوا اثأرا متعددة ذا فائدة كبيرة، وقد تجلى ذلك في قيمة المعلومات التي دونها ، وتعد رحلة أبي بكر محمد بن العربي (ت٥٤٣ هـ/ ١١٤٨م) [١٢٠] من طليعة الرحلات المغربية إلى المشرق والتي كانت تحمل عنوان (الرحلة أو ترتيب الرحلة) [١٢١] ابتدأ بها سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م ، عندما رحل مع أبيه من الأندلس متوجها إلى المشرق ، فدخل الشام ولقي فيها الكثير من العلماء والمحدثين، وعلى رأسهم الطرطوشي[١٢٢](ت ٥٢٠هـ/ ١١٢٦م)، تجول أبو بكربن العربي في بلاد الشام، وأقام ثلاث سنوات في بيت المقدس[١٢٣]، وفضلا عن ذلك كان مهتما إثناء رحلته بالغرائب التي شاهدها في بلاد الشام، مثل بعض المظاهر العجيبة في بعض بيوت دمشق، والمائدة بطور زيتا [١٢٤]. كما زار أبو حامد الغرناطي(ت٥٦٥هـ/ ١١٦٩م)[١٢٥]، بلاد الشام وغيرها من المناطق في حدود سنة ٥٠٠هـ/ ١١٠٦م، ومكث في دمشق أكثر من مرة فحدث فيها وسمع الحديث من علمائها[١٢٦]، وبعد رحلة طويلة شملت مناطق كثيرة كما نوهنا عاد إلى حلب وأقام فيها نحو سنتين ، ثم غادرها إلى دمشق سنة٥٦٠هـ/١١٦٤م وبقي فيها حتى وفاته[١٢٧]سنة ٥٦٥هـ/١١٦٩م، بعد إن ترك كتابين شرح فيهما مشاهداته الواسعة وهما (تحفة الألباب ونخبة الإعجاب) و (المغّرب عن بعض عجائب المغرب)، ويبدو انه كان يهتم بكل ما هو غريب وعجيب بحيث ركز في رحلته على العجائب، فتحدث عن عجائب البنيان في مدينة حمص تدمر وحصن بعلبك ومدن أخرى منحوتة من الصخر في هضبة حوران[١٢٨]، كما تحدث عن أشياء لم تكن معروفة لدى الشاميين وبخاصة في ميدان العجائب التي شاهدها في تلك المناطق، منها ما يتعلق ببقايا الإنسان القديم أو عالم المومياء، وقد أثارت تلك المعلومات ثائرة علماء دمشق فاتهموه بالكذب والشعوذة، وكان في طليعة هؤلاء ابن عساكر[١٢٩] الذي لم يستطع أن يتمثل المعاني والأهداف السامية العالية لمثل هذه الاهتمامات لكونها تختلف عن ميدان اهتمامه الذي اقتصر على علم الحديث. ومع هذا فانه اهتماماته محدَدة إذا ما قورن بما قدمه ابن جبيرمن معلومات.

ويمكن أن نضيف إلى هؤلاء رحلة بنيامين بن بونة التطيلي (٥٦٩هـ/١١٧٣م) ، وكان تاجرا يهودياِ ، ولهذا اهتم بالأمور الاقتصادية أكثر من اهتمامه بالعلماء الين عرفهم والتقى بهم إثناء ترحاله.ابتدأ بنيامين رحلته سنة ٥٦١هـ/ ١١٦٥م من تطليه في شمال شرق شبه الجزيرة الابيبرية ، مارا بجنوب فرنسا وايطاليا والقسطنطينية ومنها عبر بحر ايجة

إلى بلاد الشام ومدنها، ثم أكمل رحلته الطويلة[١٣٠] التي استغرقت ثماني سنوات. وركز بنيامين على أحوال اليهود في كل مدينة زارها، فذكر إعدادهم وأوضاعهم، وطرق كسبهم، ومركزهم العلمي والاجتماعي، ولاقتهم بالبيئة التي يعيشون فيها ، كما زار أماكن لم يذهب إليها ابن جبير[١٣١] ولاسيما في فلسطين مثل القدس، وبيت لحم، والخليل، والرملة، وأشدد،وكذلك عسقلان[١٣٢].وأخيرا لا بد من التنويه إلى إن بنيامين وابن جبير قد دخلا بلاد الشام من طرق معاكسة فبينما قصدها بنيامين من الشمال نزولا من إنطاكية ، ومن ثم توغل فيها من طريق الجزيرة الفراتية[١٣٣]، نجد ابن جبير قام بالعكس تماما إذ دخلها من طريق الجزيرة وغادرها من ميناء عكا[١٣٤].

ويبرز الرحالة المغربي ابن جبير أبو الحسن بن محمد بن احمد الكناني(ت٦١٤هـ/١٢١٧م) الذي زار مناطق شتى من بلاد الشام، وبغض النظر عن كبر أو صغر الرقعة التي زارها هذا الرحالة، فانه اتفق مع جميع الرحالة الذين سبقوه أو الذين جاءوا في ذكرهم للملاحظات الذكية التي شاهدوها أثناء زيارتهم لبلاد الشام ، فقد ركزوا على المواقع الأثرية والأماكن الدينية المشهورة، كما وقفوا على جوانب عديدة من الحياة الاجتماعية كالعادات والتقاليد والنهضة العلمية والعلاقات بين السكان الأصليين من ناحية، وبينهم وبين الفرنجة من ناحية أخرى، وشغل ابن جبير الريادة في ذلك، لأنه تميز في كتاباته عن الشاميين بالدقة العلمية والتركيز على نواحي في غاية الأهمية مازالت تأخذ بعين الاعتبار عند إجراء أي دراسة اجتماعية أو اقتصادية وخاصة عن مدينة دمشق ومدن الساحل الشامي[١٣٥]، فلم يكتف بمجرد الوصف والمشاهدة، بل حاول حين التحدث عن مكان ما إن يغطي كل جوانب الموضوع، وذلك بالاستعانة بمن كتب قبله عن هذا الأمر، فقد ذكر نقلا عن المؤرخ ابن المعلى الأسدي مقدار ما انفق على بناء المسجد الجامع في دمشق[١٣٦]، فضلا عن ذكره لأمور كثيرة [١٣٧]وهي تنسجم مع ما أوردته المصادر العربية الموثوقة في هذا الخصوص[١٣٨]، مما يدل على تحري دقيق للحقيقة، ومحاولة إعطاء صورة تاريخية صحيحة لما شاهده وتحدث عنه، فضلا عن إعطاء رأيه في كل من الأمور التي لا يقتنع بصحتها[١٣٩]، إلى جانب ذكره لمؤرخين لم تصلنا كتبهم[١٤٠]. واستمر المد المغربي إلى بلاد الشام فزار ابن سعيد المغربي[١٤١] (ت٥٦٥هـ/ ١١٦٩م) برحلة مع والده سنة ٦٣٨هـ/ ١٢٤٠م من الأندلس مرورا بمدن الشمال الإفريقي إلى بلاد الشام فمر بالقاهرة ثم اتجه إلى حلب برفقة ابن العديم[١٤٢](ت٦٦٠هـ/ ١٢٦١م) وخلالها قابل الناصر الأيوبي[١٤٣](٦٣٤-٦٥٨هـ/١٢٣٦-١٢٦٠م) ودخل في خدمته لمدة ثلاث سنوات(٦٤٤-٦٤٧هـ/١٢٤٦-١٢٤٩م) وجمع له كتاب (ملوك الشعر)، كما اخرج كتابه (المغّرب في حلى المغرب) وغيرها[١٤٤] وتعّد أيامه التي قضاها في هذه المدة من أخصب أيام حياته، ثم رحل إلى دمشق ودخل في خدمة تورانشاه[١٤٥] سنة (٦٤٧هـ/١٢٤٩م)، وخلال وجوده في المدينة استمع إلى اختصار تاريخ ابن عساكر[١٤٦] من أبو شامة[١٤٧] (ت٦٦٥هـ/ ١٢٦٦م). كما استفاد من رحلة ابن جبير بتزويده بمعلومات وافية عن الأحوال العامة في بلاد الشام، وقد أشار إليها في بعض مصنفاته، منها ما ذكره عن ملامح سياسة الملك العادل[١٤٨] وبنائه للمدرسة العادلية في دمشق[١٤٩] .

ب: علم التصوف:

عرفه ابن خلدون بأنه (من العلوم الشرعية في الملة واصله إن طريقة هؤلاء لم تزل عند الأمة وكبارها من الصحابة والتابعيين ومن بعدهم طريقة الحق والهداية واصلها العكوف عن العبادة والانقطاع إلى الله والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها) [١٥٠]،وقد نص ابن تيمية على إن أول ظهور للتصوف كان في البصرة حيث كان فيها كثير من المبالغة في الزهد والعبادة والخوف، ما لم يكن في سائر الأمصار[١٥١]، أما الزهد(فيقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه والانفراد عن الخلق للعبادة وكان ذلك عاما في الصحابة، والسلف فلما نشا الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة) [١٥٢].

وفي بلاد الشام انقسم المتصوفة من المغاربة إلى قسمين هما:

القسم الأول: اقتصر على الزهد والتعبد وتقديم النصائح إلى غيرهم،إلى غير ذلك من أنشطة لا فائدة ترجى منها، فقد شكل رجال هذا القسم عبئا ثقيلا على المجتمع، لان هؤلاء الرجال عاشوا على هامش الحياة دون عمل مفيد ومنتج، وهو الأمر الذي دعا إليه الإسلام وأكده حتى جعله محور بقاء الحياة واستمرارها وتطورها، وهذا النوع من التصوف لم يكن جديدا على المجتمع الشامي، إنما كان معروفا منذ مدة طويلة قبل حلول المغاربة في الشام، الذين وجدوا فيها بيئة صالحة لمثل هذا الاتجاه، الذي يمكن أن يكون سببه زهد صاحبه وعدم اكتراثه في الحياة الدنيا نتيجة تحولات مؤلمة على ساحة المجتمع الذي ينتمي إليه، بحيث يكون هذا المجتمع مقهورا لا قاهرا وعبدا لاسيدا[١٥٣].

القسم الثاني: هم المتصوفة من المغاربة من الذين ادخلوا المفاهيم الجديدة والغريبة في المجتمع الشامي في حينها والذي يمثله بوضوح بن عربي[١٥٤](ت٦٣٨هـ/١١٦٤م) صاحب فكرة وحدة الوجود، كما ويعّد ابن العربي أعظم شخصية مغربية سكنت بلاد الشام في العصور الوسطى من حيث تأثير أفكاره وإنتاجه،فقد كانت أفكاره مثار جدل ونقاش دام عدة قرون بعد وفاته، والجديد في مؤلفاته هو مذهبه في وحدة الوجود، الذي لم يكن له وجود في الإسلام في صورته الكاملة قبل ابن العربي، فهو الواضع الحقيقي لدعائمه، والمؤسس لمدرسته، والمفصل لمعانيه ومراميه، والمصدر له بتلك الصورة النهائية التي اخذ بها كل من تكلم في هذا المذهب من العلماء المسلمين من بعده[١٥٥]. فهو بذلك أول مذهب فكري جديد ومبتكر، انفرد وتميز به عن كل المغاربة التي احتضنتهم بلاد الشام، وتأتي عظمة وقيمة مؤلفاته، ولاسيما تلك التي جسد فيها مذهبه، من أنها لم تعتمد على مصادر مكتوبة، الأمر الذي جعل من ابن العربي شخصية مجتهدة، ذات فكر استقلالي ذاتي. وقد عبر عن هذه السمة في عدة مواضع منها:

١. نقل الشعراني رسالة ابن العربي إلى فخر الدين الرازي الذي عرف بسعة علمه واطلاعه قال فيها: ((اعلم يا أخي، وفقنا الله وإياك!أن الرجل لايكمل عندنا في مقام العلم حتى يكون علمه عن الله عز وجل بلا واسطة من نقل أو شيخ، فان من كان علمه مستفادا من نقل أو شيخ فما برح عن الأخذ عن المحدثات،وذلك معول عند الله عز وجل...))[١٥٦].

٢. وعبر في موضع أخر عن الفكرة ذاتها بقوله شعرا:

لقد حَّرم الرحمن تقليد مالك واحمد والنعمان والكل ماغدروا

وفي مكان أخر قال:

لست ممن يقول قال ابن حزم ولا احمد ولا النعمان[١٥٧]

ويعلق المفكر الاسباني بالنثيا على ذلك بقوله: ((وهو لهذا يريد أن يقنع قارئه بان كتاباته صدرت من النور الإلهي وحده،على الرغم من إننا نجد ألاراء نفسها بالحرف الواحد في كتب سابقة له))[١٥٨] ويبدو انه استفاد من أرسطو وأفلاطون وغيرهما كثيرا مما دعا بالنثيا أن يتجه بالحديث عنه بهذا الشكل رغم أنه قسّم العلم الإنساني إلى ثلاث أنواع[١٥٩] وهو ناتج جمع ومزج أراء أرسطو والآراء الأفلاطونية الحديثة.

ترك ابن العربي أكثر من عشرين كتابا تعد كلها جديدة على المجتمع الشامي في ذلك الوقت، ومهما يكن من أمر فان ابن العربي من كبار علماء المغاربة الذين نزلوا في بلاد الشام، واستطاع أن يترك بصمات خالدة على جبين الحضارة الإنسانية، وبغض النظر عن أقوال الحاقدين الذين لم ينصفوه بشي فأساءوا له وللعلم، وعلى العموم يعتبر كتاباه (فصوص الحكم) (والفتوحات المكية) من أهم مؤلفاته من الناحية الفكرية والجديدة[١٦٠]، وقد اهتم المغاربة الوافدين إلى بلاد الشام بكلام وأراء ابن العربي، ومنهم من كان يقرأ هذا الكلام على الرغم من الموقف العام المعارض[١٦١]، وهي صورة واضحة على انتعاش الحركة الفكرية فضلا عن حرية التعبير عن الرأي والدراسة[١٦٢]، فضلا عن انتشار أراء ابن العربي رغم المعارضة وخير مثال على ذلك خليفة المالكي[١٦٣] الذي قدم بلاد الشام واستقر في بيت المقدس وتولى إمامة المالكية في المسجد الأقصى[١٦٤]، كما كان يدرس أفكار ابن العربي في مدينة القدس.

رابعا: العلوم العقلية:

ذكر ابن خلدون العلوم العقلية قائلا (إما العلوم العقلية التي هي من طبيعية من حيث انه ذو فكر غير مختصة بملة بل بوجه النظر إلى أهل الملل كلهم ويستوون في مداركها ومباحثها وهي موجودة في النوع الإنساني منذ كان عمران الخليقة وتسمى هذه العلوم علوم الفلسفة والحكمة ..) [١٦٥].ونالت العلوم اهتمام العلماء في مختلف العصور الإسلامية ذلك لصلة هذه بمفردات حياتهم الدينية والاجتماعية والاقتصادية والصحية وغير ذلك[١٦٦].

ويشير احمد أمين إلى إن (العلوم العقلية من طب ومنطق ورياضة ونحوها قد بدأت في الأمة الإسلامية منظمة لان الأدوار الأولى . ادوار الأبحاث الجزئية كانت قد قطعت من أزمان بعيدة في أممها كاليونان والهند والفرس وكانت قد وصلت إلى مرحلة التنظيم والتدوين والتبويب ، فلما نقلت في العصر العباسي إلى اللغة العربية نقلت بهيئتها الكاملة ولم تحتاج إلى إن تمر بالمراحل الطبيعية من جديد)[١٦٧].

لقد شهدت بلاد الشام في المراحل اللاحقة نشاطا علميا متميزا في ميدان العلوم العقلية لا يقل أهمية عن ذلك النشاط في العلوم الدينية واللغوية والاجتماعية، لقد حظيت هذه العلوم باهتمام العلماء وخير دليل على ذلك ما أنتجه العلماء من كتب علمية في ميادينها المختلفة فتقدمت العلوم وازدهرت وترعرع العلماء ودرجوا في ظل النظام الحاكم، لما حضوا فيه من عناية واهتمام، وازدهرت براعتهم في العلوم التي تخصصوا بها[١٦٨].

أ: علم الطب :

عرف ابن خلدون علم الطب بقوله (صناعة تنظر في بدن الإنسان من حيث يمرض وصح فيحاول صاحبها حفظ الصحة وبرء المرض بالأدوية والاغذية بعد إن يتبين المرض الذي يختص كل عضو من أعضاء البدن وأسباب تلك الأمراض التي تنشا عنها وما لكل مرض من الأدوية مستدلين على ذلك بأمزجة الأدوية ...)[١٦٩] ، وكانت مهنة الطب موجودة منذ القدم عند المصريين والبابليين والآشوريين وغيرهم من شعوب العالم الأخرى[١٧٠] .

وعرف العرب قبل الإسلام الطبابة التي تطورت تطورا بارزا مع ظهور الإسلام ونشأة الدولة العربية الإسلامية في مختلف مراحل تكويناتها السياسية، وان العرب والمسلمين اهتموا بالطب إلى جانب اهتمامهم البالغ بلغتهم ومعرفة إحكام شريعتهم[١٧١]، إما الطب في العصر الأموي بدأ يتأثر بالاتجاه اليوناني من خلال ترجمة المؤلفات الطبية من قبل الأطباء العرب والاستفادة من معلوماتها[١٧٢]، وتطور الطب في العصر العباسي حيث كان اغلب النقلة من الذين تعلموا من مدرسة جند نيسابور بفارس ولم يأخذ العرب الطب عن الفرس وإنما أخذوه من كتب اليونان مباشرة، ومن أشهر ناقلي كتب الطب بوحنا بن ماسويه (ت ٢٤٢هـ/ ٨٥٧م) وحنين بن إسحاق (ت ٢٦٠هـ/ ٨٧٣هـ) وثابت بن قرة الحراني(ت ٢٨٨هـ/ ٩٠١م) [١٧٣].

إن توجه المسلمين إلى مختلف العلوم ومن ضمنها الطب كان تلبية لمتطلبات المجتمع الصحية فضلا عن طموحاتهم العلمية، وهذا ما أدى إلى ارتفاع الحرية العلمية عموماً في العصر العباسي والمدة التي تلته، حيث احتل الطب مكانه متميزة كما أصبح للأطباء مقام عند المسؤولين يفوق في بعض الأحيان مقام الوزراء[١٧٤] .

ومن الجديد بالذكر إن الممارس لمهنة الطب يخضع لامتحان ومراقبة مستمرين لإثبات كفاءته[١٧٥] ومهمة المراقبة تقع ضمن مسؤوليات المحتسب[١٧٦] . فعلى الطبيب اجتياز الامتحان بكتاب(مهنة الطبيب) لحنين بن اسحاق فضلاً عن كتب أخرى، وان يأخذ عهد ابقراط[١٧٧]، ولذلك كان على المحتسب في الدولة العربية الإسلامية إن يتولى مراقبة الصنائع كافة ومنها الطب[١٧٨]، ومن اجل إن يمارس الطبيب مهنته بصورة صحيحة مع عدم ايذاء المريض[١٧٩] وضعت شروط صارمة على من يزاول هذه المهنة وهي حصوله على تصريح رسمي (أجازة) من أستاذ يشهد له بعلمه وكفاءته فضلاً عن قسمَ اليمين[١٨٠] .

أخذ المجال الطبي مكانة مرموقة في المدة التي نحن بصددها، ولاسيما إن الحكام من الأيوبيين والمماليك كانوا قد احتضنوا الأطباء وقدموا لهم الدعم الذي يستحقونه، وقد يكون ذلك سببا في دفع الكثير للتوجه نحو بلاد الشام ومنهم

المغاربة الذين استغلوا فيه بكثافة، ورغم أنهم لم يأتوا باكتشاف يمكن اعتباره جديداً في بلاد الشام، على الرغم من إن معظمهم كانوا على درجة عالية من المعرفة الطبية، ولكن يأتي أهمية الدور الذي شغلوه في هذا الميدان من خلال الخدمات الجليلة التي قدموها للمجتمع الشامي في أصعب الظروف وأحوجها إلى خدماتهم ورعايتهم في عصر صلاح الدين الأيوبي، حينما كان يخوض حربه المقدسة من اجل تحرير بيت المقدس وغيرها من مناطق الساحل الشامي من دنس الاحتلال الصليبي، فقد قدَر لبلاد الشام إن تحتضن[١٨١] أنماط رفيعة المستوى من الأطباء المغاربة في المدة التي نحن بصددها، وثاني قيمة هؤلاء الأطباء أنهم شغلوا مراكز كانت لها اكبر الأثر في رفد المجتمع الشامي بالأطر الطبية المؤهلة، فضلاً عن اشتراكهم في الحرب كأطباء في الجيش الأيوبي، وأطباء في مدينة دمشق التي كانت حينذاك محور استقطاب كل الفعاليات باعتبارها قاعدة التحرير. ونذكر منهم الطبيب أبو الفضل بن عمر الغساني[١٨٢] الذي خدم الأيوبيين فترة طويلة من الزمن، كان معظمها في ساحات الحرب والمعارك التي دارت بين المسلمين والفرنجة في ارض فلسطين في الربع الأخير من القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي وهو يشبه في عمله هذا إلى كبير رئيس المجموعة الطبية، التي ترافق القادة العسكرية. وكان (علاّمة زمانه في صناعة الكحل وإعمالهما بارعاً في الأدب وصناعة الشعر وعمل المديحات)[١٨٣] .

كما وصل قسم منهم إلى رئاسة المستشفيات بمدينة دمشق، فضلاً عن أنهم كانوا يشكلون مجموعة مؤهلة للقيام بعملية التدريب في كثير من المدن الشامية على ما يحدث في المستشفيات المركزية، فكانوا يخصصون وقتاً معينا لهذه الغاية، على الرغم من كثرة مشاغل بعضهم وضيق وقتهم، ومن هؤلاء الطيب الأندلسي أبي المجد بن أبي الحلم[١٨٤] الذي كان يمثل صورة ناطقة لعمل مشاهير الأطباء في المستشفى (البيمارستان) وقد نقل لنا ابن أبي أصيبعة[١٨٥] جانباً من برنامجه اليومي الذي يبدأ بتفقد المرض والتعرف على أحوالهم وتتبع حالتهم وبعدها يصف لهم الدواء، وكان يرافقه في ذلك المشرفين والمهتمين بالمرضى ثم يتجه بعد ذلك إلى الديوان الكبير الذي في المستشفى حيث تجري مباحثات طبية، وخلال ذلك كان التلاميذ ينهلون من علم أساتذتهم، وقد تخرج على يده مجموعة من التلاميذ منهم أبو الفضل محمد بن عبد الكريم[١٨٦] الذي أصبح من الأطباء المرموقين ومما يدل على براعته في علوم الطب مؤلفه المرسوم (كتاب الأدوية المفردة) المرتب بحسب تسلسل الحروف الأبجدية[١٨٧].

وقد نحى أبو الحجاج يوسف[١٨٨] نفس المنحى في حلب حيث جلس لصناعة الطب والتدريس فضلاً عما تركه من الكتب منها رسالة في ترتيب الأغذية اللطيفة والكثيفة في تناولها، شرح الفصول لايقراط وكذلك أبو الحكم عبيد الله بن المظفر بن عبد الله[١٨٩] وغيرهم[١٩٠] .

ب: علم الصيدلة:

وهو علم يبحث عن تميز المتشابهات بين إشكال النباتات من حيث أماكنها ومواسم نموها وكذلك تميز الجيد من الردئ ومعرفة خواصها[١٩١]، وهو بالضرورة تابع العلم الطب[١٩٢] .وكان العرب أول من اعترف بالصيدلة كمهنة وعلم مستقل، تقول هونكة:(هنا انقسمت مسؤولية الطبيب الصيدلاني إلى قسمين وتفرعت عنها مهمتان قائمتان بذاتهما وقد جرى كل هذا عند ابتداء تفتح الطب الإسلامي العربي) [١٩٣] .

وفي زمنهم ظهرت لأول مرة الصيدليات الخاصة وكان المسلمون أول من انشأ مخازن الأدوية[١٩٤]. وقد حضيت الأدوية للمراقبة الشديدة من اجل حماية المريض من غش الصيادلة وتلاعبهم[١٩٥]، ووقعت هذه المهمة على عاتق المحتسب، كما كان الصيادلة يخضعون لامتحان منه[١٩٦].

وكان للمغاربة دور مهم في العلوم الصيدلانية، فقد كان لبعضهم دور السبق في اكتشاف العديد من المواد الدوائية التي لم تكن معروفة في بلاد الشام ولا حتى في غيرها من البلدان والتي لم يذكرها احد من الصيادلة من قبل ويتصدر هؤلاء الصيدلي المغربي ضياء الدين ابن البيطار[١٩٧]. الذي زار مناطق كثيرة وآلف كتابه المشهور (الجامع في الأدوية

المقررة) وقد جمع فيه أكثر من أربعمائة وألف دواء مرتب على حروف المعجم منها ثلاثمائة لم توجد في أي كتاب آخر[١٩٨]، ومنها ما عرف من قبل لليونان ولاسيما ما ورد منها في كتاب ديسقور بردس(Dioskryrides) الذي شرحه ابن البيطار بنفسه ومنها ما ورد في كتاب هندي عرف باسم سرسردندان، وقد عّده البعض من أكمل ما صنعه الغرب في هذا الميدان، واستفادت منه طلبة العلم في بلاد الشام، ومن ابرز من استفاد منه الطيب الدمشقي ابن أبي أصيبعة[١٩٩] الذي حرض على مرافقته في البحث على نوعية الإعشاب الدوائية في غوطة دمشق[٢٠٠] وما حولها[٢٠١] .

وكانت معظم العقاقير والأدوية توجد في قصور الحكام، والتي عرفت بخزانة الشراب أو الشراب خانه، وهي نفس كلمة شراب هذه انتقلت عند الأوربيين ودخلت لغتهم مثل كلمة(sirop) الفرنسية، كذلك كانت العقاقير توجد في دكاكين سوق العطارين التي تحتوي على نباتات ضرورية من صنع العقار، إذ كان اغلب العقاقير تحّضر من الإعشاب الطبيعية[٢٠٢]، وخير مثال على ما نقول الطبيب المغربي عمر بن علي البذوخ[٢٠٣] الذي قدّم خدمات جليلة للمجتمع الدمشقي خلال فترة وجوده بدمشق، فقد اقتصر نشاطه الطبي على خدمة عامة الناس، فقد كانت له دكان (عيادة) عطر في اللباديين بدمشق القديمة، يرتادها الناس للاستشارة الطبية، فكان إضافة إلى انه يقوم بتشخيص المرض وتعيين أسبابه ومواضعه، فانه كان يعطي الدواء المناسب للمرض الذي كان من صنع يده، حين كان يهيئ عنده أدوية مركبة يصفها لسائر للمراجعين ويبيع منها وينفع الناس بها، فضلاً عن اهتمامه بالكتب الطبيعية والنظر فيها وله حواشي على كتاب القانون لابن سينا[٢٠٤] .

وبخصوص بقية الفروع الأخرى من العلوم العقلية البحتة، كالكيمياء والهندسة والفلك وغيرها، فان المغاربة نزلاء بلاد الشام لم يشتهروا بشكل يسمح للمرء إن يسجل الخدمات والفوائد التي قدموها للمجتمع الشامي كله، وهذا الأمر لايعود إلى قصورهم العقلي على هذا الصعيد بقدر ما يعود إلى عدم الاهتمام بها لا سيما وان بعضها لم يكد يرحب بها كالكيمياء على سبيل المثال في بلاد الشام، وذلك لان الفقهاء اعتبروه في هذه البلاد من إعمال السحر والشعوذة التي لايسمح بها الشرع الإسلامي، ومع ذلك فقد ظهرت عند بعضهم بوادر طيبة، أسفرت عن بعض الابتكارات الجديدة التي لم يقدّر لها إن تتطور وتنتشر، مما جعل الفائدة منها معدومة في حياة بلاد الشام العلمية العامة، نذكر منها تلك التي تجسدت بصنع عدة آلات هندسية صممها الطبيب المغربي نزيل دمشق يحيى البياسي[٢٠٥] وأهداها لأستاذه ابن النقاش[٢٠٦] .

يظهر مما تقدم إن الجالية العلمية المغربية ساهمت إلى حد كبير في استمرار الزخم العلمي الحضاري على مختلف فروعه، وذلك من خلال التدريس والتأليف ونقل الكتب المغربية ذات الشهرة الكبيرة فقد بلغ عدد الكتب التي ألفها رجال هذه الفئة من المغاربة وغيرهما من العاملين في المساجد والزوايا المالكية الخاصة أكثر من مئة وخمسين كتاباً كان بعضها جديد ومبتكر في القراءات والنحو والصرف والصيدلة والتصوف، فضلاً عن عدد كبير من المؤلفات الغربية[٢٠٧] ، كان قد نقلها بعضهم إلى الشام، فتلاقت بذلك الخبرة المغربية مع الخبرة الشامية، واتحدت لتؤلف ذخراً علماً، ما زال بعضه يشغل أهمية خاصة للفترات طويلة. كما إن عدد من الطلبة تخرجوا على يد العلماء المغاربة في مختلف الاختصاصات[٢٠٨] من الذين شغلوا مراكز قيادة عالية في مجال العلم والإدارة وبذلك، ووصل الأمر ببعض هؤلاء إلى أنهم تفوقوا على أساتذتهم في كثير من الأحيان، فضلاً عن آخرين لم يشتهروا إلى الحد الذي وصل إليه هؤلاء الذي ذكرتهم كتب التراجم[٢٠٩] .

النتائـج:

توصل البحث إلى النتائج التالية:

. مدى وحدة الوطن الواحد من خلال انتقال علمائه بين المغرب والمشرق، فلا توجد حواجز من قبل السلطات السياسية في كلا الجانبين، فالحكام المغاربة شجعوا على طلب العلم والاتجاه نحو بلدان المشرق ومنها بلاد الشام، لنهل شيء من العلوم والمعارف، كما عملوا على استقطاب رجال العلم إلى المشرق، وظل العداء السياسي لا علاقة له بالعلم والمعرفة.

. كانت بلاد الشام موطنا أمنا لاستقبال العديد من المغاربة الذين هاجروا من بلاد المغرب إليها، وتفاعلوا مع المجتمع بكل حرية.

ـ تميز وجود المغاربة في بلاد الشام بالنشاط والحيوية في كافة الميادين، ومنها الحياة الفكرية، فقد كانوا متلقين للعلم ثم معلمين، لا سيما وان مدن بلاد الشام خاصة ومدن الشرق عامة، كانت مصدر الفكر والثقافة.

ـ بينت الدراسة إن دمشق ومدن الشام صارت مركزاً لاستقطاب الكثيرين من طلبة وعلماء من إنحاء الدولة في المشرق والمغرب، ولهذا نجد المغاربة وغيرهم يتجهون غالى تلك المدن للاستزادة في طلب العلم وللمشاركة في التعليم والبحث والإبداع في تلك العلوم، حيث برز علماء لهم وزنهم في تلك العلوم وقد حفظت لنا الكتب التراثية المشرقية منها والمغربية على حد سواء أسماء الكثير من العلماء ومنهم المغاربة الذين عملوا في بلاد الشام.

ـ رَكز المغاربة على العلوم الدينية ومنها علم القراءات وعلم الحديث والتفسير والأمور الفقهية وعلوم اللغة من نحو وصرف وعروض وغيرها.

. كان اغلب المغربة الذين يتجهون إلى بلاد الشام يضعون في حساباتهم قبل الانطلاق إلى بلاد الشام أداء فريضة الحج ومن ثم التحصيل العلمي، والأخذ من مصادر العلم وأهله في مختلف المدن الشامية.

المصادر والهوامش:

[١]- تعددت الروايات في تعليل تسمية بلاد الشام منهم من إل أنها إلى سام بن نوح لأنه أول من نزلها أبدلت السين شينا، الحموي ، شهاب الدين ابوعبد الله،معجم البلدان، دار صادر ، بيروت، ١٩٩٥م،٣١٢/٣؛ ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن هبة الله الشافعي، تهذيب ابن عساكر، بيروت، ١٩٧٩م ، ١٤/١؛ البدري، أبو البقاء عبد الله، نزهة الأنام في محاسن الشام، بيروت، ١٩٨٠م، ص١١؛ في حين يذكر المسعودي إن السبب في تسميتها أنها تع شمال الكعبة ، والشام معناها هنا الطيب، علي بن الحسين ، مروج الذهب ومعادن الجوهر، بيروت، ١٩٨٣م ، ٤٣/٢.

[٢]- سميت بذلك لشامات ي أرضها بيض وسود ، الأنصاري ، شمس الدين بن عبد الله، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، كوبنهاكن،١٩٦٥م، ص١٩٣؛ الحميري ، محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، لبنان،١٩٧٥م ، ص٣٣٥.

[٣]- اليعقوبي، احمد بن يعقوب بن واضح(٢٨٤هـ)،البلدان، ليدن،١٨٩١م، ص٣٢٥؛ ابن الفقيه،أبو بكر احمد بن محمد الهمداني(٢٨٦هـ)، مختصر كتاب البلدان،ليدن، ١٣٠٢هـ ، ص٩١ـ٩٢؛ ابن خرداذبه، المسالك والممالك، ص٥ وص١٦٨ ؛١الحموي، معجم البلدان، ٣١١/٣.

[٤]- الاصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد(ت ٣٤٦هـ)، مسالك الممالك، ليدن، ١٩٣٧م، ص٤٣.

[٥]- المقدسي، أبو عبد الله محمد بن علي(٣٨٠هـ)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ليدن ، ١٩٠٦م، ص١٥.

[٦]- طرسوس : مدينة بين إنطاكية وحلب وبلاد الروم ، الحموي ، معجم البلدان، ٢٨/٤.

[٧]- رفح : منزل في طريق مصر بينه وبين عسقلان يومان لقاصد مصر ، الحموي، معجم البلدان، ٥٤/٣؛ البغدادي، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق(ت٧٣٩هـ)، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق علي محمد البجاوي، بيروت ، ١٩٩٢م، ٦٢٣/٢.

[٨]- الجفار جمع جفرة في الأصل البئر القريبة من القعر الواسعة المسمى بهذا الاسم مواضع كثيرة ومنها التي يقصدها بالشام وأولها رفح وأخرها برمال تيه بني إسرائيل كلها رمال سائلة بيض ، البغدادي ، مراصد الاطلاع،٣٣٧/١.

[٩]- البلقاء: كوره من إعمال دمشق في الشام ، الحموي ، معجم البلدان،٤٨٩/١.

[١٠]- صرخد: بلدة في ارض حوران بمنطقة دمشق، الحموي ، معجم البلدان،٤٠١/٣.

[١١]- سليمة: بلدة من الناحية البرية من إعمال حماه، الحموي ، معجم البلدان، ٢٤٠/٣.

[١٢]- بالس: بلدة في الشام بين حلب والرقة على الضفة الغربية لنهر الفرات ، الحموي ، معجم البلدان، ٣٢٨/١.

[١٣]- قلعة نجم: قلعة على نهر الفرات ، الحموي ، معجم البلدان، ٣٩١/٤.

[١٤]- البيرة : بلدة قرب سميساط بين حلب والثغور الشامية، الحموي ، معجم البلدان، ٥٢٦/١.

[١٥]- قلعة الروم: قلعة حصينة في غربي الفرات مقابل البيرة، الحموي ، معجم البلدان، ٣٩٠/٤.

[١٦]- سمسياط: مدينة على شاطئ الفرات في بلاد الروم ، الحموي ، معجم البلدان، ٢٥٨/٣.

[١٧]- حصن المنصور : قرية في منطقة الجزيرة غربي الفرات قرب سميساط ، الحموي ، معجم البلدان، ٢٦٥/٢.

[١٨]- بهسنا: قلعة حصينة بالقرب من مرعش وسميساط ، الحموي ، معجم البلدان، ٥١٦/١.

[١٩]- مرعش، مدينة بين الشام وتركيا، في منطقة الثغور في بلاد الروم لها سوران وخندق وفي وسطها حصن يدعى سور يعرف بالمرواني بناه الخليفة مروان بن محمد، الحموي ، معجم البلدان، ١٠٧/٥.

[٢٠]- بلاد سيس: بلدة بين إنطاكية وطرطوس على عين زربه، الحموي ، معجم البلدان، ٣٢٩٧.

[٢١]- الشويك: قلعة خصبة في إطراف الشام بين عمان وأيله والقزم قرب الكرك، الحموي ، معجم البلدان،٣٧٠/٣.

[٢٢]- أيله:مدينة على ساحل بخر القلزم وقيل هي آخر بلاد الحجاز وءول الشام ، الحموي ، معجم البلدان، ٢٩٢/١؛ البغدادي، مراصد الاطلاع،١٣٨/١.

[٢٣]- الجند: هم العسكر والجمع أجناد وكانت تعرض لهم الأرزاق ويمنحون العطاء من بين المال ، وسميت المناطق بالأجناد لأنها تجمع كورا ومدنا وقرى، الحموي ، معجم البلدان، ٣٨/١؛ الخضري ، الشيخ محمد، محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية(الدولة الأموية)،القاهرة،د.ت، ٢١١/٢.

[٢٤]- ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن علي(ت ٣٦٧هـ)، صورة الأرض، بيروت،د.ت،ص١٥٤؛ أبو الفدا،عماد الدين بن إسماعيل(ت٧٣٢هـ)، تقويم البلدان، باريس،١٨٤٠م، ص٢٢٦.

[٢٥]- أحسن التقاسيم، ص١٥٤ .

[٢٦]- الاصطخري، المسالك، ص٥٥-٥٦؛ زيادة،نيقولا، جغرافية الشام عند جغرافي القرن الرابع الهجري، الموتمر الدولي الأول لتاريخ بلاد الشام، الأردن، ١٩٧٤، ص ص١٤٧-١٥٦ .

[٢٧]- الثغور: مكان فرجة في جبل أو بطن وادا أو طريق ميلوك، وهو الموضع الذي يكون حداً فاصلا بين المسلمين والكفار ويسمى من يسكنها يلازمها بالمرابطين وكانت على الحدود المواجهة للدولة البيزنطية وتشحن بالمقاتلة وتخزن فيها المواد الغ١ائية والأسلحة ، ابن منظور،محمد بن مكرم(ت٧١١هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت،د.ت، ٢٦٥/١.

[٢٨]- زيادة، جغرافية الشام، ص١٥٦ .

[٢٩]- ابن حوقل، صورة الأرض، ص١٥٤؛ أبو الفدا، تقويم البلدان، ص٢٣٤.

[٣٠]- مليطية: بلدة في بلاد الروم مشهورة تتاخم الشام، الحموي، معجم البلدان، ١٩٢/٥ .

[٣١]-كيسوم: قرية مستطيلة من إعمال سميساط ، الحموي ، معجم البلدان، ٤٩٧/٣.

[٣٢]- شمشاط، مدينة بأرض الروم على شاطئ الفرات، الحموي ، معجم البلدان، ٣/ ٣٦٢.

[٣٣]- الحدث: قلعة حصينة بين ملطية وسميساط ومرعش في الثغور ، الحموي ، معجم البلدان، ٢٢٧/٢.

[٣٤]- ابن شاهين، عز الدين أيبك، زبده كشف المماليك وبيان كشف المسالك، باريس،١٩٨٤م، ص٤٢؛ الطراونة، طه تلجي، مملكة صفد في عهد الممالك، بيروت، ١٩٨١م، ص٩.

[٣٥]- المقريزي، احمد بن علي (ت ٨٤٥هـ)، السلوك لمعرفة دول الملوك، مصر ، ١٩٧٢ ، ١٢٥٠/٤.

[٣٦]- ابن تغري بردي، جمال الدين يوسف(ت ٨٧٤هـ)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، القاهرة، ١٩٧٢، ٢٢٦/١٥.

[٣٧]- ابن جبير، أبو الحسن محمد ابن احمد(ت ٦١٤هـ) رحلة ابن جبير، بيروت، ١٩٥٩، ص٢٢٧-٢٢٨ .

[٣٨]- المصدر نفسه، ص٢٤٤-٢٤٥ .

[٣٩]- المصدر نفسه، ص٢٥٥ .

[٤٠]- المصدر نفسه، ص٢٣٢.

[٤١]- المصدر نفسه، ص٢٢١.

[٤٢]- للمزيد ينظر النعيمي، عبد القادر بن محمد الدمشقي(ت ٩٢٧هـ)، الدارس في تاريخ المدارس، تحقيق جعفر الحسيني، دمشق، ١٩٤٨.

[٤٣]- الحمصي، نعيم، تحو فهم منصف لأدب الدول المتتابعة، الجمهورية السورية، ١٩٧٩، ١/ ١٢١-١٢٢ .

[٤٤]- على سبيل المثال كان نور الدين محمود زنكي(ت ٥٦٩هـ) عالماً وحاكماً عادلاً بني المساجد والمدارس واخذ يحسن ويكرم العلماء، النعيمي، الدارس،٦٠٧/١-٦٠٨ .

[٤٥]- كان الملك المنصور محمد بن تقي الدين عمر(ت ٦١٧هـ) عالماً وأديبا وشاعرا ومحبا للعلم، الكتبي، قوات الوفيات، ١٢/٤.

[٤٦]- كان عز الدين فروخ شاه بن اخ صلاح الين(ت٥٧٨هـ) وشاعراً، العماد الأصفهاني، محمد بن محمد بن حامد(ت ٥٩٧هـ) ،جريدة القصر وجريدة العصر ، قسم شعراء دمشق، بحصن شكري فيصل، دمشق ١٩٦٨، ص١١٣-١١٥.

[٤٧]- باشا، عمر موسى، الأدب في بلاد الشام(عصر الزنكيين والأيوبيين والمماليك)، ط٢، دمشق، ١٩٨٢، ص٨ .

[٤٨]- سورة التوبة أية ١٢٢ .

[٤٩]- ابن ماجه، الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد(ت ٢٧٥هـ) سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فواد عبد الباقي، القاهرة، ١٩٥٤، ٨١/١-٨٢.

[٥٠]- باشا، الأدب في بلاد الشام، ص٨ .

[٥١]- ابن خلدون، عبد الرحمن(ت٨٠٨هـ)، المقدمة ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٣م،ص٤٣٥؛ التهاوي، محمد بن علي الفارقي، كشاف اصطلاحات الفنون، مصر، ١٩٦٣، ٣٠/١.

[٥٢]- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد(ت٥٠٥هـ)، إحياء علوم الدين، القاهرة، ١٣٩٠هـ، ١٦١/١، ؛ ماجد، فخري، دراسات في تاريخ الفكر العربي، بيروت، ١٩٧٠م، ص١٦٦.

[٥٣]- عاشور، سعيد عبد الفتاح، المجتمع المصري في عصر السلاطين المماليك، دار النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٢م، ص٢٢٢.٢٢٣.

[٥٤]- القراءات في اللغة هي جمع قراءة للمزيد ينظر، ابن منظور، لسان العرب ،٤٣/٣.

[٥٥]- القطان ، مناع خليل، مباحث في علوم القران،الرياض، ١٩٨٧م،ص٢٥٥ .

[٥٦]- االزركشي، محمد بن عبد الله (ت٧٩٤هـ) ، البرهان في علوم القرآن، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، ١٩٧٢م، ١/ ٣٧١ ؛ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن(ت ٩١١هـ)، الإتقان في علوم القرآن، بيروت، د.ت، ١٢/ ١٠؛ الفضلي، عبد الهادي، القراءات القرآنية تاريخ وتعريف، دار العلم، بيروت، ١٩٨٠، ١٠/١.

[٥٧]- زادة، طاش كبري(ت٩٦٨هـ)، مفتاح السعادة ومصباح السيادة، القاهرة، د.ت،٦/٢؛ خليفة، حاجي(ت١٠٦٧هـ)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، بيروت، ١٩٩٢م، ١٣١٧/٢.

[٥٨]- شهاب الدين احمد بن محمد (ت١١١٧م)، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، بيروت ،٢٠٠١م، ص٦.

[٥٩]- كشف اصطلاح الفنون،ص٣٧.

[٦٠]- للمزيد ينظر بالنثيا، إنجيل حنتالث، تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت، ص٢٠٥.

[٦١]- المقري، شمس الدين احمد بن محمد(ت١٠٤١هـ)، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تحقيق أحسان عباس، بيروت، ١٩٦٨م، ١٣٢/٢.

[٦٢]- المصدر نفسه، ٣/ ٣٨٩-٣٩٠.

[٦٣]- بالنثيا، تاريخ الفكر،ص٤٠٦ .

[٦٤]- بلدة بالمغرب من نواحي الزاب بينها وبين قلعة حماد مرحلتان فيها نخل وشجر، البغدادي، مراصد الاطلاع، ١٩٧/١ .

[٦٥]- محمد بن عبد الرحمن(ت٩٠٣هـ)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، القاهرة، د.ت،٤/٥ .

[٦٦]- الحنبلي، مجير الدين، الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل، عمان، ١٩٧٣م، ٢٥١/٢ .

[٦٧]- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم(ت٧١١هـ)، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي،قم، ١٤٠٥هـ، ١٣١/٢(مادة حدث).

[٦٨]- الطريحي، محمد بن علي(ت١٠٨٥هـ)، جامع الرجال فيما يتعلق بأحوال الحديث والرجال، تحقيق محمد كاظم الطريحي، طهران، د.ت،ص١ .

[٦٩]- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس احمد (ت٧٢٨هـ)، علم الحديث، تحقيق موسى محمد، ط٢، بيروت، ١٤٠٥هـ، ص٨.

[٧٠]- المالكي، الحافظ ابو سليمان بن خلف(ت٤٧٤هـ)، التعديل والتخريج لمن خرج عن البخاري في الصحيح، تحقيق احمد البغدادي، مراكش، د.ت، ص٨ .

[٧١]- سورة الحشر، أية (٧) .

[٧٢]- سورة النجم، أية(٤.٣) .

[٧٣]- خليفة، كشف الظنون، ٢٣٧/١ .

[٧٤]- أبو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل(ت٦٦٨هـ)، الذيل على الروضتين، عني بنشره عزت العطار، د.م، ١٩٦٨م، ص١٦٨ .

[٧٥]- ابن كثير، أبو الفدا إسماعيل الدمشقي(ت٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، خرّج أحاديثه محمد بيومي وآخرون، مكتبة الإيمان، المنصورة،د.ت،١٤٧/١٣ .

[٧٦]- النعيمي، الدارس، ٨٨.٨٦/١ .

[٧٧]- ابن كثير، البداية والنهاية، ٥٠٦/١٤ .

[٧٨]- الصفدي، صلاح الين ايبك(٧٧٤هـ)،الوافي بالوفيات، تحقيق محمد عبد الله ومحمد بن محمود، دمشق،١٩٥٩، ١٦٢/٤.

[٧٩]- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن(ت٩١١هـ/ ١٥٠٥م)، نظم العقبان في أعيان الزمان، تحرير فليب حتي، نيويورك، ١٩٢٧م، ص١٦٠؛ ابن القاضي، احمد بن محمد المكناسي(ت١٠٢٥هـ/١٦١٦م)، ذيل وفيات الأعيان المسمى درة الجمال في أسماء الرجال، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، القاهرة ، ١٩٠٠م، ٢٦٣/٢ .

[٨٠]- منهم ابن مرزوق الحفيد وأبي القاسم بن سعيد العقباني، وأبي الفضل بن الإمام وأبي العباس احمد بن زاغو وأبي عبد الله محمد النجار.

[٨١]- تجول في مناطق كثيرة فزار مكة إثناء تأديته لفريضة الحج ، ثم عاد إلى القاهرة ودرّس فيها لمدة ، وذكره السخاوي بقوله(وقد حصلت بيننا اجتماعات وصحبة ورأيت منه حدة الذهن وذكاء الخاطر)، الضوء اللامع، ١٨٠/٩.

[٨٢]- توفي في مدينة ناب، وهي قلعة حصينة ورستاق قرب حلب، البغدادي، مراصد الاطلاع، ٩٧٧/٢ .

[٨٣]- ومن المغاربة الذين عملوا بدمشق سالم بن إبراهيم بن عيسى الصنهاجي (ت٨٧٣هـ/ ١٤٦٨م)، الذي تولى منصب قضاء المالكية بدمشق ثم القدس، السخاوي، الضوء اللامع،٢٤٠/٣ .

[٨٤]- كانت من واجباته قمع البدع والإشراف على توزيع الصدقات والاهتمام بالأيتام والاعتناء على بالأوقاف العامة، وان يتحرى على أمور الشهود وان يستشير العلماء ويجود على المنصوفة والفقراء، كما كان يحكم بالشريعة في جميع القضايا التي غلبت عليها الأمور الشخصية، القلقشندي، أبو عيسى احمد بن علي(ت٨٢١هـ/١٤١٨م)، صبح الأعشى في صناعة الانشا، مصر،د.ت،٤٢/٢ وما بعدها؛احمد ،احمد رمضان، المجتمع الإسلامي في بلاد الشام، القاهرة،١٩٧٧م،ص٩١ .

[٨٥]- وهو الأسد الضاري الملك الظاهر ركن الدولة ابو الفتوح بيبرس البنداري الصالحي التركي (ت٦٧٦هـ)،ابن كبير، البداية والنهاية،٢٩٥/١٣؛ ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف(ت٨٧٤هـ)،النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، الموسسة المصرية العامة،د.ت،٩٤/٧.

[٨٦]- يعني القضاة الذي عينهم السلطان بيبرس سنة ٦٦٤هـ/١٢٦٦م وجميعهم يحملون اسم شمس الدين وهم شمس الدين عبد الله بن عطاء الحنفي وشمس الدين زين الدين محمد بن عبد السلام بن علي قاضي المالكية وشمس الدين عبد الزهرة بن عمرو الحنبلي قاضي الحنابلة وكذلك شمس الدين ابن خلكان، المقريزي، تقي الدين أبو العباس احمد بن علي(ت٨٤٥هـ)، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد مصطفى زيادة، القاهرة،د.ت،٤٢/١.٤٣.

[٨٧]- المقريزي، السلوك،٤٢/١ــ٤٣؛ السامرائي، فراس سليم، العادات والتقاليد الدمشقية، دار الأوائل، دمشق،٢٠٠٤،ص٧٥ .

[٨٨]- للمزيد عن القضاة الذين تولوا منصب القضاء عن طريق دفع الأموال ينظر ابن حجر العسقلاني، احمد بن علي(ت ٨٥٢هـ)، الدرة الكامنة في أعيان المئة الثامنة،د،م، د،ت، ١٦٧/٢و٤٤٣/٣ وغيرها.

[٨٩]- شهدت مدة حكم المماليك هجرات مغربية كبيرة ،ولاسيما من الأندلس بعد سقوط آخر معقل للعرب المسلمين فيه.

[٩٠]- احمد،بلاد الشام،ص٥٣وص٥٧ .

[٩١]- كشف الظنون، ١٥٥٦/٢.

[٩٢]- ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، مطبعة دار إحياء التراث العربي ، بيروت،د.ت،ص٥٤٦.

[٩٣]- المصدر نفسه، ص٥٤٦.

[٩٤]- الجرجاني، علي بن محمد(ت٨١٢هـ/١٤٠٩م)، التعريفات، مصر، ١٤٠٦هـ، ص١٠٥.

[٩٥]- ابن خلدون، مقدمة، ص٥٤٦.

[٩٦]- الجرجاني، التعريفات،ص٣١.

[٩٧]- نسبة إلى مدينة جيان وهي مدينة واسعة بالأندلس تتصل بكورة البيرة في شرق قرطبة ، البغدادي، مراصد الاطلاع،٣٦٤/١.

[٩٨]- الحنبلي ، شذرات الذهب، ٣٣٩/٥.

[٩٩]- يذكر الحنبلي إن وفاته كانت في شهر شعبان ودفن بالروضة قرب الموفق، شذرات الذهب، ٣٣٩/٥.

[١٠٠]- ابن كثير، البداية والنهاية،٢٤٩/١٣.

[١٠١]- الصفدي، الوافي بالوفيات، ٣٥٩/٢؛ اليونيني، قطب أبو الفتح موسى بن محمد (ت ٧٢٦هـ/١٣٢٦م)، ذيل مرآة الزمان، حيدر آباد الدكن، ١٩٦٠م، ٧٦/٣ .

[١٠٢]- الحنبلي، شذرات الذهب، ٣٣٩/٥.

[١٠٣]- ومنهم المزي والعلم والفارقي والشمس البعلي والشيخ النووي، المقري، نفخ الطيب، ٤٢٨.٤٢٧/٢ .

[١٠٤]- اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ٢٠٧/٣؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ٢٥٥/١٣.

[١٠٥]- ابن كثير، البداية والنهاية، ٣٢١/١٣.

[١٠٦]- ابن حجر العسقلاني، احمد بن علي(ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، حيدر آباد الدكن، ١٢٤٩هـ، ص٢٧٨.

[١٠٧]- اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ١٩٧/٤.

[١٠٨]- النعيمي، الدارس، ٢٣٦/٢.

[١٠٩]- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن(ت٩١١هـ/١٥٠٥م)، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة،تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة،د.ت، ٤٤/١؛المقري، نفح الطيب، ٣/ ١٣١وكذلك ٦٢٧ .

[١١٠]- السخاوي، الضوء اللامع، ٢٠١/١٠.

[١١١]- المصدر نفسه، ٢٧٧/٨.

[١١٢]- السخاوي، محمد بن عبد الرحمن(ت٩٠٣هـ/١٤٩٦م)، التبر المسبوك في ذيل السلوك، طبع بالا.فست، القاهرة،د.ت، ص٤٠، الضوء اللامع، ٣٠٦/١.

[١١٣]- ومن هؤلاء أبو عبد الله الطليطلي مدير دار العلم في طرابلس ومحمد بن عبد الله شيخ المدرسة العادلية بدمشق وبن المعطي شيخ النحو بالمسجد الأموي والقاسم بن احمد المرسي شيخ النحو بالعادلية بدمشق. .

[١١٤]- احمد، علي، بلاد الشام في نظر المغاربة والأندلسيين، مجلة التاريخ العربي، عدد/١٥، ٢٠٠٠م، ص٤٧.

[١١٥]- كشف الظنون، ٥٩٠/٢.

[١١٦]- أبو القاسم محمد بن فيره الرعيبي الشاطبي(ت٥٩٠هـ/١١٩٤م)، ينظر بالنثيا، تاريخ الفكر،ص٤٠٦.

[١١٧]- مفتاح السعادة، ٣٨٤/١. .

[١١٨]- كتاب البلدان، النجف، ١٩١٨م، ص ١٠٠.١٠. .

[١١٩]- صورة الأرض، ص٦٤ وما بعدها صفحات أخرى.

[١٢٠]- عن ترجمته ينظر أبن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك(ت٥٧٨هـ/ ١١٨٣م)، كتاب الصلة، القاهرة، ١٩٦٦، ٢/ ٥٩١.٥٩٠..

[١٢١]- توجد نسخة مخطوطة من رحلة ابن العربي في المكتبة الخاصة بالشيخ محمد المنوني بالرباط، كما نشر الدكتور إحسان عباس جزءا منها سنة ١٩٦٨م بعنوان(رحلة ابن العربي إلى المشرق كما صورها قانون التأويل)، مجلة الأبحاث ج٣.٢ ، بيروت ص٩١.٧١.

[١٢٢]- الفقيه المالكي الزاهد أبو بكر محمد بن الوليد بن خلف بن سليمان القرشي الفهري الأندلسي، ابن بشكوال، الصلة، ٩٢/٢؛ ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أمحمد بن محمد (ت٦٨١هـ/ ١٢٨٢م)، وفيات الأعيان وإنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، ط٤،بيروت، ٢٠٠٥م، ٢٦٢/٤ـــ٢٦٥؛ [١٢٢]المقري، احمد بن محمد(١٠٤١هـ/١٦٣١م)، أزهار الرياض في إخبار القاضي عياض، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، القاهرة، ١٩٣٩، ٦٣.٦٢/٣.

[١٢٣]- المقري،، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس،بيروت، ١٩٦٨، ٣٧/٢.

[١٢٤]- المصدر نفسه،٣٣/٢وكذلك ص ٣٧.

[١٢٥]- عن أبي حامد الغرناطي، ينظر المقري، نفح الطيب، ٢٣٥/١ وما بعدها .

[١٢٦]- المقري، نفح الطيب،٢٣٥/٢، .

[١٢٧]- توفي أبو حامد عن عمر ناهز الثانية والتسعين ، المصدر نفسه،٢٣٦/٢ .

[١٢٨]- أبو حامد الغرناطي، محمد بن عبد الرحيم بن سليمان القيسي الغرناطي(ت٥٦٥هـ/١١٦٩م)، تحفة الألباب ونخبة الإعجاب، المغرب، ١٩٩٣، ص١٠٥ .

[١٢٩]- أبو القاسم علي بن الحسن هبة الدين(ت٥٧١هـ)، احد أكابر حفاظ الحديث وقد عني به سمعا وجمعا وحفظا وقد اتنقن أساليبه كلها، له مؤلفات عديدة منها تاريخ مدينة دمشق للمزيد ينظر ابن كثير ، البداية والنهاية،٦٨٠.٦٧٩/١٢ .

[١٣٠]- زار بنيامين الجزيرة والموصل وبغداد وبلاد فرس والهند وجنوب الجزيرة العربية ومنطقة البحر الأحمر ومصر ومن ثم العودة إلى الإسكندرية من طريق صقلية إلى الأندلس، رحلة بنيامين، ترجمة عزرا حداد، بغداد ، ١٩٤٥، ص٤٨، وينظر إلى مقدمة المترجم ص٢٢ وما بعدها.

[١٣١]- زار بنيامين التطيلي بلاد الشام قبل نحو سبعة عشر عاما من زيارة ابن جبير لها .

[١٣٢]- بنيامين، رحلة، ص٩٨ وص١٠٦ وما بعدها.

[١٣٣]- المصدر نفسه، ص١٢٥.١٢٤.

[١٣٤]- ابن جبير، رحلة،ص ٢٥٦.

[١٣٥]- ابن جبير ، الرحلة، ص٢٢٣ وما بعدها؛ الذهبي، أبو عبد الله شمس الدين محمد(٧٤٨هـ)، العبر في خبر من غبر، تحقيق صلاح الدين المنجد، الكويت، ١٩٦٦م،٥١/٥ .

[١٣٦]- ابن جبير، الرحلة، ص٢١١.

[١٣٧]- المصدر نفسه ،ص٢٢٢.

[١٣٨]- على سبيل المثال ينظر ابن جبير ، الرحلة، ص٢٢٢ ويقارن مع البلاذري ، أبو الحسن احمد بن يحيى (ت٢٧٩هـ/٨٩٢م)، فتوح البلدان، تحقيق رضوان محمد، القاهرة،د.ت، ص١٣٢، وكذلك عند مقارنة ما ذكره في ص٢٢٢وص٢٢٦مع ما ذكره ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن(ت٥٧١هـ/١١٧٥م)، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق صلاح الدين المنجد، دمشق ،١٩٢/١٩٥١،١ وما بعدها،

[١٣٩]- ابن جبير ، الرحلة، ص٢١٦ وما بعدها.

[١٤٠]- ذكر ابن جبيرأمور ينسبها إلى أبو المعلى الاسدي ولكنه لم يذكر اسم الكتاب، ويبدو إن كتاب الموما إليه هو من الكتب التي لم تصلنا لأننا لا نعرف شيء عن المؤرخ أو الكتاب، عن ما ذكرناه ينظر الرحلة ، ص٢١١.

[١٤١]- أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي اتجه إلى المشرق بنية الحج سنة ٦٣٨هـ/ ١٢٤٠م فمر بتونس والإسكندرية والقاهرة .

[١٤٢]- كمال الدين أبو القاسم عمر بن احمد (ت٦٦٠هـ/١٢٦١م) صاحب كتاب تاريخ حلب.

[١٤٣]-السلطان الملك الناصر.

[١٤٤]- كما كتب جزء من كتابه المشرق في حلى المشرق، المقري، نفح الطيب، ٢٧٢/٢ وما بعدها .

[١٤٥]- الملك المعظم تورانشاه بن الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٣٦٤/٦.

[١٤٦]-المقري، نفح الطيب، ٢٩٩/٢

[١٤٧]- شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي (ت٦٦٥هـ/١٢٦٦م) .

[١٤٨]- الملك العدل سيف الدين محمد بن أيوب وهو أخ السلطان صلاح الدين(ت٦١٥هـ/١٢١٨م)ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ١٧٣/٦.

[١٤٩]- المقري، نفح الطيب، ٢٩٦/٢.

[١٥٠]-. المقدمة، ص٤٦٧.

[١٥١]- تقي الدين أبو العباس احمد(ت ٧٢٨هـ/١٣٢٧م)، مجموع الفتاوى، جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم العاصي، الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين ، مكة المكرمة، د،ت، ٦/١١.

[١٥٢]- ابن خلدون ، المقدمة، ص٤٦٧.

[١٥٣]- احمد ، بلاد الشام،ص٤٨.٤٩

[١٥٤]- أبو بكر محي الدين محمد بن علي بن محمد الطائي الأندلسي، عنه ينظرالغبريني، أبو العباس احمد بن محمد البجائي(ت٧١٤هـ/١٣١٥م)، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المسالة السابقة لبجاية، تحقيق عادل نويهف، بيروت ،١٩٦٩م،ص٩٧؛ الحنبلي، شذرات الذهب، ١٩٠/٥ وما بعدها.

[١٥٥]- ابن العربي، أبو عبد الله محمد بن علي(ت٦٣٨هـ/١٢٤٠م)، فصوص الحكم، تحقيق أبو العلاء العفيفي، بيروت، ١٩٤٦م، ٢٥/١ .

[١٥٦]- الطبقات الكبرى المسماة بلوائح الأنوار في طبقات الأخيار، مصر ، ١٣٠٥هـ ، ٥/١

[١٥٧]- الحنبلي، شذرات الذهب، ٢٠٠/٥ .

[١٥٨]- تاريخ الفكر، ص٣٨٣.

[١٥٩]- وهي علم العقل وهو كل العلم الذي يحصل لك ضرورة أو عقيب نظر في دليل بشرط العثور على وجه ذلك الدليل، والعلم الثاني هو علم الأحوال ولا سبيل لها إلا بالذوق . والعلم الثالث هو علم الإسرار وهو العلم الذي فوق طور العقل ، للمزيد ينظر بالتثيا، تاريخ الفكر، ص٣٨٣.٣٨٤ .

[١٦٠]- احمد، بلاد الشام، ص٥٠.

[١٦١]- السخاوي، محمد بن عبد الرحمن، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت، ١٩٨/٣.

[١٦٢]- عبد المهدي، عبد الجليل حسن، الحركة الفكرية في المسجد الأقصى في العصرين الأيوبي والمملوكي، عمان، ١٩٨٠م، ص٣٥.

[١٦٣]- الشيخ القدوة خليفة بن مسعود بن موسى المغربي الجابري المالكي، تولى مشيخة المغاربة فضر عن إمامة المالكية في المسجد الأقصى، توفي سنة٨٣٣هـ/ ١٤٢٩م، الحنبلي، الإنس الجليل ، ٢٤٧/٢.

[١٦٤]- الحنبلي، الإنس الجليل، ٢/ ٢٤٧ .

[١٦٥]- المقدمة، ص٤٧٨.

[١٦٦]- السامرائي، خليل إبراهيم، دراسات في تاريخ الفكر العربي، جامعة الموصل، ١٩٨٣، ص٣٠١.

[١٦٧]- ضحى الإسلام، القاهرة، ١٩٣٩.

[١٦٨]- السامرائي ، دراسات ، ص٣٠١.

[١٦٩] – المقدمة، ص٤٩٣ .

[١٧٠] – ابن النديم، محمد بن إسحاق(ت ٣٨٥هـ/ ٩٩٥م) الفهرست، تحقيق إبراهيم رمضان، بيروت، ١٩٨٧، ص٤١٢.

[١٧١] – فروج، عمر، تاريخ الأدب العربي، دار العلم الملايين، بيروت د.ت، ٤٦٤/٣.

[١٧٢] – ابن النديم، الفهرست ، ص٥١١؛ فروخ، تاريخ،ص٢٧٤؛ سارتون، جورج،المدخل الى التاريخ والعلم، بيروت، ١٩٧١، ص٣٢ .

[١٧٣] – ما جد، عبد المنعم، تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، ط٣، القاهرة، ١٩٧٣، ص٢٤٢.

[١٧٤]– نص، سيد حسين، مرجان العالم الإسلامي، بيروت، ١٩٧٤، ص٢٤ .

[١٧٥] – بروي، ادوار، تاريخ الحضارات العالم، بيروت، ١٩٦٥، ٢٢٨/٣ .

[١٧٦] – القلقشندى، صبح الأعشى،٣٨/٤؛ ابن الإخوة، محمد بن محمد، معالم القربة في إحكام الحسبة، مصر، د.ت ، ص ص٢٥٥-٢٥٦ .

[١٧٧] – ابن جلجل ، أبو داود سلمان بن حسان الأندلسي، طبقات الأطباء والحكماء ، القاهرة، ١٩٥٥، ص٦٨؛ الشيرزي، عبد الرحمن بن عبد الله، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، القاهرة، ١٩٤٦، ص٩٨-١٠٠ .

[١٧٨] – القلقشندى، صبح الأعشى،٣٨/٤؛ ابن الأخوة، معالم، ص٢٥٥؛ سميت ، أميلي، موسوعة تاريخ العلوم العربية، مادة الطب، بيروت، ١٩٩٧، ١١٩٧/٣.

[١٧٩] – الماوردي، علي بن محمد بن حبيب، الإحكام السلطانية والولايات الدينية، بيروت، د. ت، ص٣١٨ .

[١٨٠] – السامرائي، دراسات، ص٣١٣- ٣١٤ ،

[١٨١] – احمد، بلاد الشام، ص٣٩ .

[١٨٢] – حكيم الزمان أبو الفضل بن عمر بن عبد الله بن حسان الغساني الجلياني، ابن أبي اصيبعة، موقف الدين العباسي احمد بن قاسم (ت ٦٦٨هـ)، عيون الإنباء في طبقات الأطباء، وصححه محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨، ص٥٨٣ وما بعدها.

[١٨٣] – ابن أبي اصيبعه، عيون الإنباء، ص٥٨٣ .

[١٨٤] – افصل الدولة أبو المجد محمد بن أبي الحشم عبيد الله بن المظفر بن عبد الله الباهلي من الحكماء المشهورين والعلماء المذكورين والأفاضل في الصناعة الطينة، ابن أبي اصيبعة، عيون الأنباء، ص ٥٨١؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ٢٤/٤ .

[١٨٥] – عيون الإنباء، ص٥٨١ .

[١٨٦] – مؤيد الدين أبو الفصل محمد بن عبد الكريم بن عبد الرحمن الحارثي الدمشقي ويعرف كذلك بالمهندس لمعرفته بالهندسة قبل دراسته للقب، ابن أبي اصبيعة، عيون الأنباء، ص٦٢١ .

[١٨٧] – ابن أبي اصيبعة، عيون الأنباء، ص٦٢٢ .

[١٨٨] – أبو الحجاج يوسف الإسرائيلي مغربي من مدينة فاس، رحل إلى مصر ثم إلى بلاد الشام واستقر في حلب، ابن اصيبعه، عيون الإنباء، ص٦٤٨ .

[١٨٩] – ابن أصيبعة، عيون الإنباء، ص٥٦٩ ، وكذلك ص٦٤٨.

[١٩٠] – ابن أبي أصيبعة، عيون الإنباء ، ص٥٦٩ .

[١٩١] – زادة، مفتاح، ١/ ٣٤٨ .

[١٩٢] – أبو دياك، صالح، دراسات في التاريخ الإسلامي، عمان، ١٩٨٥، ص١٨٦.

[١٩٣] – زيغريد، شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي، ط٣، بيروت، ١٩٧٩، ص٣٢٠.

[١٩٤] – المصدر نفسه، ص٣٣٩.

[١٩٥] – قنواتي، جورج شحاتة، تاريخ الصيدلة والعقاقير في العهد القديم والعصر الوسيط، مصر، ١٩٥٩، ص١٨٣؛ السامرائي، دراسات، ص٣٢٨.

[١٩٦] – الشيرازي، نهاية الرتبة، ص٤٢؛ ابن الأخوة، معالم، ص٥٧ وما بعدها.

[١٩٧] – هو الحكيم أبو محمد عبد الله بن احمد المالقي اليباني ويعرف ابن البيطار أوحد زمانه وعّلامة وقته في معرفة النباتات(ت ٦٤٦هـ)، ابن أبي اصيبعة، عيون الأنباء، ص ص٥٥٥– ٥٥٦ ؛ الحنبلي، شذرات، ٥/٢٣٤.

[١٩٨] – ماجد، تاريخ الحضارة، ص٢٥٠.

[١٩٩] – احمد بن القاسم بن خليفة الخزرجي المعروف بابن أبي اصيبعة، صاحب كتاب تاريخ الأطباء وعيون الإنباء المتوفي سنة ٦٦٨هـ، ابن كثير، البداية والنهاية، ١٣/ ٢٣٨.

[٢٠٠] – الغوطة هي مجمع النباتات، وهي كورة تابعة لدمشق تحيط بها جبال عالية من جميع جهاتها ولا سيما شمالها وهناك عيون مياه خارجة من تلك الجبال، الحموي، معجم، ٤/٢١٩.

[٢٠١] – ابن الآبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي (ت ٦٥٨هـ/ ١٢٥٨م)، التكملة لكتاب الصلة، نشر وتصحح عزت العطار الحسيني، القاهرة، ١٩٥٦، ١/ ١٢١؛ ابن أبي اصبيعة، عيون الإنباء، ص٥٥٦.

[٢٠٢] – ماجد، تاريخ الحضارة، ص٢٤٩ .

[٢٠٣] – أبو جعفر عمر بن علي بن البذوخ القلعي المغربي، كان خبيراً في الأدوية المركبة والمفردة، ابن أبي اصيبعة، عيون الإنباء، ص٥٨١.

[٢٠٤] – ابن أبي أصيبعة، عيون الإنباء، ص ٥٨١؛ احمد ، بلاد الشام، ص ٤١.

[٢٠٥] – أمين أبو زكريا يحيى بن إسماعيل الأندلسي البياتي من الفضلاء المشهورين والعلماء المذكورين، قد أتقن الصناعات الطبيعة. ابن أبي اصيبعة، عيون الإنباء، ص٥٩٠ .

[٢٠٦] – أبو الحسن علي بن أبي عبد الله عيس بن هبه الله، وكان احد زمانه في الطب ، ابن أبي اصيبعه، عيون الإنباء، ص٥٨٨.

[٢٠٧] – من المؤلفات المغربية الجزولية والشاطيبة وكتاب الشفاء للقاضي عياض وكتاب سراج الملوك للطرطرش، وبعض الكتب اليونانية التي نقلها الأطباء المغاربة كابن البيطار الذي جاء يكتب جالينوس وديسقوريدس إلى دمشق، ونقل غيره كتب ابن زهر كما إن بعضهم جاء يكتبه كابن الرومية البناني إضافة إلى كتب في المذهب المالكي كالموطا وغيرها .

[٢٠٨] – بلغ عدد الطلبة الذين تخرجوا على يد العلماء المغاربة أكثر من ثلاثين طالباً حسب معطيات المصادر.

[٢٠٩] – احمد بلاد الشام ، ص ٥٠.